اسرائيل والتلمود

دراسة تحليلية

ابراهيم خليل أحمد

مكتبة الوعي العربي

إسرائيل والتلمود

دراسة تحليلية

بقلم

إبراهيم خليل أحمد

الناشر

مكتبة الوعي العربي

لصاحبها : رءوف شمان

تليفون ٩١٩٩٦٥

١٩٦٧

تقـــديم

أخى المواطن ! !

اليوم ونحن نقف وجهاً لوجه أمام الصهيونية والاستعمار الجديد لنزيل عن أرضنا آثار عدوانهما الغاشم مستخدمين فى هذا السبيل كل طاقاتنا وجهودنا ، فقد رأيت أن أتقدم إلى قراء العربية جميعاً بهذا الكتاب ، الذى جعلت موضوعه « إسرائيل والتلمود » .

وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب كثيرة أعتقد أنها ستتضح أمامك وأنت تقرأ الكتاب ، وتتابع ما يكشفه لك من مخـــازى الصهيونيين ومساوئهم .

وليست هناك حجة فى الرد على الصهاينة أقوى من التوراة كتابهم المقدس ، برغم أنهم تناولوها بالتحريف والتبديل ، واستبدلوا بها التلمود كتابا مقدساً يتبعون تعاليمه ، ويسيرون على هديه .

ولقد عاش اليهود خلال الأزمنة المتطاولة حربا على الإنسانية والخير وكل ماهو أصيل وسام فى النفس البشرية ، ومن أجل ذلك لعنتهم الكتب السماوية ولفظتهم الأمم التى عاشوا بين ظهرانيها ، ولم يستطيعوا أن ينالوا محبة شعب أو ثقة أمة من الأمم ... لعنهم القرآن الكريم وصور أخلاقهم بقوله : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولوكانوا

يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون » (١).

ويجبهم المسيح عليه السلام بقوله : « لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقاليدكم . . يا مراءون حسنا تنبأ عنكم إشعياء قائلا : يقترب إلىّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً ، وباطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » (٢).

وإذا كانت الصهيونية تزعم بأن أرض فلسطين قد أقطعهم الله إياها فإن التوراة تكذب هذا الزعم وتدحضه ، وعلينا أن نتدارس مزاعم الصهيونية فى أنهم شعب الله المختار . .

وفى أن الله قد ورثهم أرض فلسطين . .

وفى الحقائق التى وردت فى التوراة كتابهم المقدس عن العهد الذى قطعه الله على نفسه لإبراهيم . .

وعن الميراث وشرطية الميراث . .

ثم عن خيانة العهد والجزاء الأوفى .

وأخيراً عمن يكون له الميراث بعد أن رفض الله شعبه .

* * *

يستند اليهود فى مزاعمهم التى يزعمون إلى ما ورد فى التوراة :

« أقيم عهدى بينى وبينك ، وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك ، وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض

---

(١) المائدة : ٧٨ — ٨١ .

(٢) متى ١٥ : ٣ ، ٧ — ٩ .

غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم » (١) ، « قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (٢) .

لقد أخذ الله هذا العهد على نفسه فى وقت كان فيه إبراهيم عقيما وزوجته ساراى عاقراً « ولم يعطه فيها ميراثا ولا وطأة قدم ، ولكن وعد أن يعطيها ملكا له ولنسله من بعده ، ولم يكن له بعد ولد » (٣) .

وأرادت زوجته أن ترث الأرض : « فقالت ساراى لابرام : هوذا الرب قد أمسكنى عن الولادة . ادخل على جاريتى لعلى أرزق منها بنين . فسمع ابرام لقول ساراى ، فأخذت ساراى امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت . . . وولدت هاجر لأبرام ابنا . ودعا ابرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل » (٤) .

ومن هـــذا يتضح أن الميراث لنسل إبراهيم وأن سارة قد حققت إرادة العلى القدير فى الوارث بموافقتها على تزويجها هاجر لإبراهيم رجلها ، ومع هذا فقد جعل الله للميراث شرطاً وهو الكمال أمام الله : « وظهر الرب لابرام وقال له : أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملا » (٥) ، « وقال الله لإبراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدى . أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم » (٦) .

---

(١) تكوين ١٧ : ٧ — ٨ .

(٢) تكوين ١٥ : ١٨ .

(٣) أعمال الرسل ٧ : ٥ .

(٤) تكوين ١٦ : ٢ — ٤ ، ١٥ .

(٥) تكوين ١٧ : ١ .

(٦) تكوين ١٧ : ٩ .

ولكن بنى إسرائيل مع ما حققه الله تعالى من معجزات على يدى موسى كليمه ويشوع بن نون خليفة موسى تعـــدوا وصايا الله وخالفوا أنبياءه ، فحلت عليهم اللعنة وضربت عليهم الذلة والمسكنة . نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، لم يصغوا لوصية ولم يسمعوا لتحذير . ومن قبل حذرهم موسى قائلا : « وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لهـا أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لامحالة . كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم كذلك تبيدون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم » (١) .

وتلاحقهم غضبة الله أينما كانوا : « والباقون منكم ألقى الجبانة فى قلوبهم فى أراضى أعدائهم فيهزمهم صوت ورقة مندفعة فيهربون كالهرب من السيف ويسقطون وليس طارد . ويعثر بعضهم ببعض كما من أمام السيف وليس طارد . ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم » (٢) .

وأخيراً لمن الميراث ؟

تنبأ المسيح عليه السلام بنبي يأتى من بعده به تختم النبوة ويسند إليه الميراث ، فقال : « أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية ، من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا. لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره »(٣).

وهذه النبوءة تأكيد لمـا حلم به من قبل نبوخذ نصر ملك بابل من أن حجراً ضرب التمثال فسحقه وصار الحجر جبلا كبيراً وملأ الأرض كلها ، وقد عـبّر دانيال النبي هذا الحلم بقوله: « وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل

---

(١) تثنية ٨ : ١٩ — ٢٠ .
(٢) اللاويون ٢٦ : ٣٦ — ٣٨ .
(٣) متى ٢١ : ٤٢ — ٤٣ .

هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين ، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب . الله العظيم قد عرّف الملك ماسيأتى بعد هذا . الحلم حق وتعبيره يقين » (١) .

ويحدد المسيح عليه السلام شخص النبي الموعود بالنبوة والكتاب والملك ، فيقول : « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية» (٢).

ومن هنا فطن بنو إسرائيل إلى أن الله فى غضبته عليهم قد انتزع منهم الملك وخلعه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . . وبهذا رفضهم جل شأنه وتجلى على نسل إسماعيل الذى تنكرت له سارة قائلة لإبراهيم : « اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحق » (٣). لقد أدركوا أن النبوة قد خرجت عنهم نهائياً وخلعت على من تنبأ به موسى ، وأكده عيسى من بعده : « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » (٤) . ولهذا كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الحق ، حقداً وعناداً ، ولجوا فى باطلهم وعداوتهم للإسلام حتى دمغهم الله تعالى بقوله : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

* * *

وبعد أيها القارىء ، فإنى أقدم إليك كتابى هذا لأكشف لك عن حقيقة الصهيونية من أين استمدت تعاليمها وتقاليدها ، وأسس مزاعمها التى تزعمها فى الأرض المقدسة . . ولتعلم من ثنايا هذا الكتاب : من هم بنو

---

(١) دانيال ٢ : ٤٤ — ٤٥ .

(٢) يوحنا ١٦ : ١٢ ـ ١٣ .

(٣) تكوين ٢١ : ١٠ .

(٤) تثنية ١٨ : ١٨ ـ ١٩ .

إسرائيل فى حقيقتهم ، وما مدى استمساكهم بكتابهم المقدس وسوء تأويلهم إياه وتحريفهم الكلم عن مواضعه ، واتخاذهم كتابا آخر مقدساً هو التلمود ، وضعه أحبارهم وعلماؤهم بعد قرون من وفاة موسى عليه السلام ، وانحرفوا به عن كل فضيلة وكل دعوة حق دعا إليها دين من الأديان .. وقدموا هذا الكتاب على التوراة كتابهم الأول . وسترى فى النماذج التى نقدمها إليك من التلمود روح العنصرية والحقد والضغينة على البشرية التى يدفعهم إليها كتابهم هذا ، والذى أخلصوا لتعاليمه الشريرة الإخلاص كله .. فعاشوا حياتهم مبغضين مكروهين من أمم الأرض جميعاً .

والكتاب من جانب آخر يكشف عن الخطة التى تبعها الصهاينة من أجل السيطرة على مقدرات العالم ، وعن دورهم فى تحطيم القيم الإنسانية والأخلاقية وزرع الفتن والثورات أينما حلوا ..

وإذا كنا نجتاز اليوم ظروفاً غير عادية ، فإن السبيل الأول للنصر أن نعرف عدونا حق المعرفة ، لنستطيع أن ندفع شره ، وأن نلحق به الهزيمة الساحقة فى كل ميدان .

وهذا الكتاب يسهم فى تعريف أبناء الأمة العربية بعدوهم ، وهو خطوة على الطريق من أجل تحقيق وعد الله جل شأنه : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

القاهرة فى ٢ أكتوبر ١٩٦٧

إبراهيم خليل أحمد

سابقا

القس إبراهيم خليل فيلبس

راعى الكنيسة الإنجيلية

وأستاذ العقائد واللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط

الباب الأول

منشأ التلمود

« وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيرا » .
(الإسراء : ٤)

« ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » . (آل عمران : ١٣٩)

الفترة من سنة ١٣٥ إلى سنة ٥٦٥

عاش فى الشرق الأوسط شعب عجيب احتفظ بطابعه وبثقافته الخاصة بالرغم مما مر به من الشدائد . يستوحى كيانه ووجوده من دينه الخاص ، ويعيش بهدى شريعته ومبادئه الأخلاقية ، وظهر فيه شعراء وعلماء وأدباء وفلاسفة . والعجيب فى هذا الشعب أنه تمكن من الإخصاب الفكرى بين عالمين متناقضين: عالم استعمارى وعالم نام .

ولم تكن فتنة بار كوبيه Par Cocbeha سنة ١٣٢ — ١٣٥ م آخر مابذله اليهود ليستعيدوا حريتهم التى قضى عليها بمباى ، وتيطس سنة ٧٠ م ، وهادريان سنة ١٣٥ م ، فقد أعادوا الكرة لاستعادة حريتهم واستقلالهم فى عهد أنطونيوس بيوس Antonius Pius سنة ١٦١ م فأخفقوا فى محاولتهم ، وحرم عليهم أن يدخلوا المدينة المقدسة إلا فى يوم تلك الذكرى المؤلمة : ذكرى تدميرها . فقد كان يسمح لهم نظير جعل معين ، أن يأتوا ويندبوا ويبكوا أمام جدران الهيكل المهدم .

وكان سكان فلسطين التى خرب من مدنها فى فتنة باركوبيه Par Cocbeha ٩٨٥ مدينة وقرية ، وقتل من أهلها ٥٨٠٫٠٠٠ رجل وامرأة حتى كادت البلاد تمحى من الوجود ، ونقص السكان إلى النصف ، وانحط الباقون إلى درجة من الفاقة كادت أن تقضى على الحياة الثقافية .

وفى هذا الخراب الذى حل ببنى إسرائيل وتدمير أورشليم تحقيق لنبوءة سيدنا عيسى عليه السلام القائلة : « ياأورشليم ! ياأورشليم ! ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ! كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ! هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا ! » .(١)

---

(١) إنجيل متى ٢٣ : ٣٧ — ٣٨ .

وتحقيقاً لنبوءة إرميا القائلة : « ويعبر أمم كثيرة فى هـــذه المدينة ويقولون الواحد لصاحبه : لمـاذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ؟ فيقولون : من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » (١) .

ويحلل إرميا شخصيتهم بقوله : « هاإنـكم متكلون على كلام الـكذب الذى لاينفع . أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتنجرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ثم تأتون وتقفون أمامى فى هذا البيت الذى دعى باسمى عليه وتقولون قد أنقذنا . حتى تعملوا كل هذه الرجاسات هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينـكم » (٢) .

ويؤكد المسيح عليه السلام شخصية بنى إسرائيل المنحرفة بإقراره : « ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل ، وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام . وقال لهم : مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » . (٣)

ولم يكد يمضى على فتنة باركوبيه جيل واحد حتى تمـكن اليهود من إنشاء المجلس اليهودى القومى فى مدينة طبرية وقوامه واحد وسبعون من العلماء والأحبار المشرعين. إلا أن نهضة اليهود هذه انتـكست يوم أن اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية دينا وجعلها الدين الرسمى ومن ثم اضطهد اليهودية واليهود وفرض عليهم قيوداً ومطالب جـديدة وأغلق عليهم

---

(١) إرميا ٢٢ : ٨ — ٩ .
(٢) إرميا ٧ : ٨ — ١١ .
(٣) إنجيل متى ٢١ : ١٢ — ١٣ .

فى مجتمعهم بمـا يعرف « بالجيتو » ، وفى سنة ٣٣٧ م أصدر قانوناً بمعاقبة اليهودى الذى يجرؤ على الزواج من مسيحية بالإعدام(١) ، كما نفى أحبارهم فى أنحاء الإمبراطورية(٢) .

وفرض جالوس Gallus أخو قنسطنطين على اليهود من الضرائب الفادحة ما اضطر الكثيرين منهم إلى أن يبيعوا أبناءهم وبناتهم ليوفوا بمطالبه .

وثار اليهود مرة أخرى فى سنة ٣٥٢ م . وأخمدت ثورتهم ودكت صفورة Sepphoris (٣) دكا ، وخربت أجزاء من طبرية وغيرها من المدن ، وقتل آلاف من اليهود ، واستبعد آلاف آخرون نفيا وتشريدا ، وبلغت حال اليهودى الفلسطينى سنة ٣٥٩ م درجة من الانحطاط أرغمت الحاخام هلل الثانى أن ينزل عما كان ليهود فلسطين من الحق فى أن يحددوا لجميع اليهود فى أنحاء الأرض تواريخ أعيادهم ، وأصدرلهم تقويما يحددون هم بمقتضاه تواريخ هذه الأعياد مستقلين عن يهود فلسطين ، ولا يزال هذا التقويم الذى أصدره الحاخام هلل الثانى معمولا به إلى اليوم لدى اليهود فى جميع أنحاء العالم .

اليهود يعيدون بناء أورشليم

قال الله تعالى فى سورة الإسراء : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنـا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً

(١) Baron, S. Social and Religions History of the Jews. Vol. I, p. 266 — Graetz, H. History of the Jews. Vol. II, P. 566.

(٢) Abott G.F. Esrael in Egypt. P. 43.

(٣) صفورة قرية على بحيرة طبرية فى فلسطين .

مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها (١) » .

ولما ارتقى جوليان Julian عرش الإمبراطورية أنقذ اليهود إلى أجل قصير من هذا التعذيب فقد خفض هذا الإمبراطور الضرائب المفروضة عليهم ، وألغى القوانين التى تجعلهم أقل منزلة من غيرهم ، واعترف بأن « يهوه » إله العبرانيين إله عظيم . وصرح لهم بإعادة بناء هيكل أورشليم من مال الدولة(٢) ، لممارسة عباداتهم وتقديم الذبائح والقرابين زلفى إلى « يهوه » ، وأعاد فتح أورشليم لليهود ، فهرعوا إليها من جميع أنحاء فلسطين ومن كل ولاية فى الإمبراطورية .

وسخر الرجال والنساء والأطفال جهودهم لإقامة البناء ، وتبرعوا بحليهم وما ادخروه من أموالهم لتأثيث الهيكل الجديد(٣) ، وفى وسعنا أن نتصور سرور القوم الذين ظلوا مائتى عام يدعون ربهم أن يمن عليهم بهذا اليوم من سنة ٣٦١ م .

الفترة من ١٣٥ إلى ٣٦١

ويصف سبينوزا اليهودى - وهو من أكبر فلاسفة التاريخ - الروح القومية اليهودية بقوله : « لم يكن حب اليهود لوطنهم حبا بسيطاً بل كان أشبه بالورع . فهذا الورع - مع مارافقه من الاحتقار للشعوب الأخرى - كان ينمو يوماً فيوما مع ممارسة اليهود لدياناتهم حتى أصبح متأصلا فى نفوسهم » .

والواقع أن الطاقة الروحية والقومية اليهودية غمرت حياة ذلك الشعب

---

(١) الإسراء : ٤ — ٧ .

(٢) Julian; Works. Vol. III, P. 51 .

(٣) Abott. G.F. Esrael in Igypt. P. 45.

فتشبعت بها روح أبنائه . فكانوا يعدون أنفسهم ممتازين على سائر الناس ولم يرضوا قط أن يمتزجوا بغـــيرهم من الأمم . فهم مازالوا يلحون فى طلب الانفراد فى مجتمع « الجيتو » حتى منحتهم الطبيعة ما أرادوا وفصلتهم عن جسم البشرية . ومهما يكن من أمر فأين المفر من إرادة الله التى دمغتهم بالذلة :

« ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»(١) .

وسرعان ماتبددت نشوتهم ،فبينما كانوا يحفرون الأرض لوضع الأساس إذ خرج من باطنها لهيب أحرق عددا من العمال والمهندسين القائمين بالعمل(٢)، غير أن اليهود عادوا إلى العمل من جديد ،فعادت هذه الظاهرة مرة أخرى ـ ولعل سبب هذه الظاهرة هو انفجار بعض الغازات الطبيعية ـ وكان لا لتهابها ما أوقف العمل وبالتالى ثبطت همة القائمين بالمشروع .

وفرح المسيحيون بهذه الظاهرة ، إذ بدا لهم أن الله غير راض عن إعادة بناء الهيكل ، وعجب اليهود من هذا وحزنوا له . ثم مات الإمبراطور جوليان فجأة ، فحبست عنهم أموال الدولة ، وسنت من جديد القوانين المقيدة لهم ، وجعلت أشد صرامة مما كانت عليه من قبل ، وحـرم على اليهود مرة أخرى دخول أورشليم ، فعادوا إلى منفاهم وفقرهم ثم إلى صلواتهم .

وكتب جيروم بعد قليل من ذلك الوقت يقول : إن أهل فلسطين اليهود «لا يزيدون على عشر ما كانوا عليه من قبل » ، تصديقاً لما جاء بسفر إشعياء :

---

(١) آل عمران : ١١٢.

(٢) Ammianus Marcellinis; Works. Vol. XXIII, 1.

« فقلت : إلى متى أيها السيد ؟ فقال : إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر . ويُبعد الرب الإنسان ويكثر الخراب فى وسـط الأرض . وإن بقى فيها عشر بعد فيعود ويصير للخراب »(١) .

وفى عام ٤٢٥ م ألغى الإمبراطور ثيوديسيوس الثانى الحاخاميـة الفلسطينية ، وحلت الكنائس المسيحية اليونانية محل المعابد والمدارس اليهودية ، وتخلت فلسطين بعد فترة قصيرة فى عام ٦١٤ م عن زعامة العالم اليهودى .

ونتيجة لما أصاب اليهود من اضطهاد عنيف من مسيحى الإمبراطورية الرومانية يمموا وجوههم نحو الشرق إلى أرض النهرين وإلى بلاد الفرس حيث وجدوا تعضيداً من العنصر اليهودى البابلى الذى لم ينعدم من تلك البلاد منذ الأسر البابلى الذى حدث فى عام ٥٩٧ ق . م . وكانت وظائف الدولة محرمة على اليهود فى بلاد الفرس أيضاً . ولكن هذه الوظائف كانت محرمة كذلك على جميع الفرس ماعدا طبقة الأشراف ولذلك لم يكن هذا الحرمان ثقيلا عليهم(٢) .

اليهود ينتشرون فى الأرض

قال هرتزل مؤسس الصهيونية : « من السخافة أن ننكر وجود مشـكلة يهودية ، فإنها موجودة حيثما توجد جماعة من اليهود . وإذا لم توجد لايلبث أن يحملها إليها المهاجرون . إننا نهاجر إلى الجهات التى لا نضطهد فيها ، ولكن ظهورنا فيها يحمل على اضطهادنا » .

---

(١) Jerome, Commentary on Isarael, Vl, II-13. Baron Vol. I, 261.

(٢) Baron, I, 255.

والواقع أنها غضبة الله حلت بهذا الشعب « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون(١) » .

وظل اليهود فى أثناء ذلك ينتشرون فى جميع البلاد الواقعة حول البحر المتوسط . فمنهم من ذهب لينضم إلى الجاليات اليهودية فى بلاد الشام ، والبحر المتوسط ، ومنهم من ذهب إلى القسطنطينية رغم عداء أباطرة الروم وبطارقتهم ، ومنهم من اتجهوا من فلسطين جنوباً إلى جزيرة العرب وعاشوا فى سلام وحرية دينية مع بنى جنسهم الساميين ، واحتلوا فى تلك البلاد أقاليم برمتها مثل خيبر . وكان عددهم فى يثرب « المدينة المنورة » يكاد يكون مساوياً لعدد العرب أنفسهم ، واستمالوا إلى دينهم عدداً من الأهلين وهيئوا عقول العرب لما جاء به الإسلام من عقائد يتفق بعضها مع العقائد اليهودية ومن هؤلاء ورقة بن نوفل عم السيدة خديجة رضى الله عنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم « بحيرى الراهب » . ومنهم من عبروا البحر الأحمر إلى بلاد الحبشة حيث تضاعف عددهم بسرعة حتى قيل إنهم بلغوا فى عام ٣١٥ نصف سكان تلك البلاد(٢) .

وكان اليهود يمتلكون نصف سفن الإسكندرية ، وكان ثراؤهم فى تلك المدينة السريعة التأثر والاهتياج سبباً من أسباب ازدياد حدة العداء الدينى لهم .

وكان فى أسبانيا جاليات يهودية قبل يوليوس قيصر ، ونمت تلك الجاليات دون أن يتعرض لها بأذى تحت حكم الأباطرة الوثنيين ، وأثروا فى عهد القوط الغربيين الآريين ، ولكنهم سرعان ما تعرضوا للاضطهاد المؤسس

---

(١) البقرة : ٦١ .

(٢) Friedländer, L. Roman Life and mamers under the Early Empire. III, 173.

بعد أن اعتنق الملك ريكارد (٥٥٦ - ٦٠١) عقائد مؤتمر نيقية . وأحرق مسيحيو أورليان كنيسا يهوديا حوالى عام ٥٦٠ ، وطلب اليهود من جنثرام Gunthram ملك الفرنجة أن يعيد بناءه من أموال الدولة أسوة بما فعله ثيودريك فى مثل هذه الحالة من قبل . ولما رفض جنثرام هذا الطلب صاح الأسقف جريجورى التورى Gregory of Tours : « ما أعظمك أيها المليك وما أعجب حكمتك ! ! »(١).

ولكن اليهود بالرغم مما يقع عليهم من اضطهاد سرعان ما ينمون وينتعشون فى البلاد التى كانوا يهاجرون إليها وسرعان ما كانوا ينشئون مدارسهم بمختلف مستوياتها يضمها فى العادة الكنيس نفسه . وكان العلماء لا يقيمون فى بلد يخلو من المدارس الابتدائية والثانوية .

وكانت لغة العبادة والتعليم هى اللغة العبرانية ، أما لغة التخاطب اليومى العادى فكانت الآرامية فى بلاد الشرق ، واليونانية فى مصر وفى بلاد أوربا الشرقية ، أما فى غير تلك البلاد فكان اليهود يتخاطبون بلغة من يعيشون بينهم من الأهلين .

وكان الدين هو الموضوع الذى يدور حوله التعليم اليهودى ، أما الثقافة غير الدينية فكادت فى ذلك الوقت أن تهمل إهمالا تاما ، ذلك أن اليهود المشتتين لم يكونوا يستطيعون أن يحفظوا كيانهم جسميا وروحيا إلا عن طريق شريعتهم ، وكان الدين عندهم هو دراسة الشريعة والعمل بها ، وكان دين آبائهم يزداد قيمة لديهم كلما ازداد الاضطهاد الدينى عليهم ، وكان التلمود والتوراة الدعامتين والملجأين اللذين لاغنى عنهما لشعب حائر تائه مشرد بين شعوب الأرض ، شعب تقوم حياته على الرجاء ، ويقـــوم رجاؤه على الإيمان بالله .

---

(١) Gregory of Tours; History of the Franks. Vol. VIII, 1, 1916.

منشأ التلمود

كان الكتبة ورجال الدين المقيمون فى المعابد والمدارس الفلسطينية والبابلية هم الذين ألفوا أسفار الشريعة الضخمة المعروفة بالتلمود الفلسطينى والتلمود البابلى .

وكانوا يقولون إن موسى لم يترك فقط لشعبه شريعة مكتوبة تحتويها الأسفار الخمسة المسماة بالتوراة ، بل ترك أيضا شريعة شفوية تلقاها التلاميذ عن المعلمين جيلا بعد جيل وأضافوا إليها زيادات وتنقيحات .

وكان أهم ما ثار حوله الجدل بين الفريسيين والصدوقيين والفلسطينيين هو :

هل هذه الشريعة الشفوية هى الأخرى من عند الله ؟ فإن كان الأمر كذلك فهى واجبة الطاعة .

ولما أن زالت طبقة الصدوقيين بعد تشتت اليهود عام ٧٠ م خلا الموقف للفريسيين الذين سيطروا على الكيان الروحى لشعب إسرائيل ، وورث رجال الدين تقاليد الفريسيين ورواياتهم . وقبل إيمانا وطاعة جميع اليهود المتمسكين بدينهم الشريعة الشفوية وآمنوا بها وكأنها أوامر من عند الله وأضافوها إلى أسفار موسى الخمسة ، فتكونت من هذه وتلك التوراة والتلمود ، أو الشريعة الموسوية التى استمسك بها اليهود وعاشوا بمقتضاها .

وفى هذا يقول المسيح عليه السلام : « يقترب إلىّ هذا الشعب بفمه

ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً ، وباطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » .

وكانت الشريعة الموسوية وهى التوراة والتلمود بالنسبة لإسرائيل حقيقة لا مجازا هى كيانهم ، وقوام حياتهم

إن القصة التى تروى تلك العملية الطويلة التى استغرقت ألف عام ، تجمعت فى خـــلالها الشريعة الشفوية ، واتخذت فيها صورتها النهائية المعروفة بالمشنا ، والقرون الثمانية التى تجمعت فيها ثمار الجدل والأحكام ، والإيضاح فكانت هى الجمارتين أو شروح المشنا ، وبانضمام المشنا إلى أقصر الجمارتين يتألف منهما التلمود الفلسطينى ، وإلى أطولهما يتألف منهما التلمود البابلى — إن القصة التى تروى هذه الأحداث الثلاثة لمن أكثر القصص تعقيداً وأعظمها إثارة للدهشة فى تاريخ العقل البشرى .

وكما كانت التوراة أدب العبرانيين الأقدمين ودينهم ، كان التلمود حياة يهود العصور الوسطى ودينهم ودماءهم .

وذلك أن أحكام الشريعة الواردة فى الأسفار الخمسة أحكام مسطورة ، ولهذا فإنها لم تكن تستطيع الوفاء بجميع حاجات أورشليم بعد أن فقدت حريتها ، ولا اليهودية بعد أن فقدت أورشليم حريتها ، ولا الشعب اليهودى فى خارج فلسطين . لم تستطع الوفاء بحاجات هذه أو معالجة الظروف المحيطة بها . ومن ثم كانت مهمة علماء السنهدرين قبل التشتت ، والأحبار بعد التشتت هى تفسير الشريعة الموسوية تفسيراً يهتدى به الجيل الجديد والبيئة الجديدة ويفيدان منه .

وتوارث المعلمون جيلا بعد جيل تفاسير هؤلاء العلماء ومناقشاتهم ، وآراء الأقلية والأغلبية فى موضوعاتها

(١) إنجيل متى ١٥ : ٨ — ٩ .

على أن هذه الروايات الشفوية لم تدون ، ولعل سبب عدم تدوينها أن هؤلاء العلماء أرادوا أن يجعلوها مرنة قابلة للتعديل ، أو لعلهم أرادوا بذلك أن يرغموا الأجيال التالية على استظهارها .

فكان فى وسع الأحبار الذين أخذوا على أنفسهم تفسير الشريعة ، إذا اضطرتهم الظروف ، أن يستعينوا بمن قدروا على استظهارها . وكان الأحبار فى الستة القرون الأولى بعد ميلاد المسيح يسمون « التنائم Tannaim » أى « معلمى الشريعة » ، وإذ كانوا هم وحدهم المتضلعين فيها فقد كانوا هم المعلمين والقضاة بين يهود فلسطين بعد تدمير الهيكل .

تحليل شخصية الأحبار

كان أحبار فلسطين ، وأحبار بابل طبقة أرستقراطية فذة لا مثيل لها فى التاريخ . ذلك أن هؤلاء الأحبار لم يكونوا طبقة وراثية أو مغلقة مقصورة على طائفة خاصة من الناس ، كما كانت من قبل . فإن وظيفة الأحبار والكهنة حسب شريعة موسى قصرت على سبط لاوى فحسب ، بل أصبحت هذه الوظيفة بعد ميلاد المسيح وتدمير أورشليم حقا مباحاً لكل يهودى ، ووجد فقراء اليهود طريقهم إلى الكهنوت ، وسرعان ما ارتقوا فى مناصبه . وقد كان معظمهم يكسبون قوتهم بالعمل فى الصناعات المختلفة حتى بعد أن أصبحوا من ذوى الشهرة العالمية . وظلوا إلى مايقرب من أخريات تلك الفترة التى نتحدث عنها لا يعطون أجورا على قيامهم بالتدريس أو بأعمال القضاء .

وكان الأثرياء من اليهود يجعلونهم فى بعض الأحيان شركاء غير عاملين فى مشروعاتهم المالية أو التجارية . أو يؤوونهم فى بيوتهم ، أو يزوجونهم من بناتهم ، ليوفروا عليهم عناء الكد لكسب قوتهم .

ومن هؤلاء الأحبار من أفسدهم ما كان لهم من المنزلة الرفيعة بين أبناء جلدتهم ودينهم . ومنهم من كانوا كسائر الخلق يغضبون ، ويغارون ، ويحقدون ، ويسرفون فى النقد ، ويتكبرون ، ومنهم من كان لابد لهم أن يذكروا أنفسهم المرة بعد المرة أن العالم بحق رجل متواضع ، لأن الحكيم يرى الجزء فى ضوء الكل ، إن لم يكن لغير ذلك من الأسباب .

وكان الناس يحبونهم لفضائلهم ولعيوبهم ، ويعجبون بهم لعلمهم وتقواهم ويروون ألف قصة وقصة تنبىء عن حكمتهم ومعجزاتهم . ومازال اليهود إلى أيامنا هذه يجلون طلاب العلم والعلماء كما لا يجلهم شعب آخر فى العالم كله .

كتابة التلمود

ولما كثرت قرارات الأحبار وتضاعفت أصبحت مهمة استظهارها شاقة غير معقولة . ولذلك حاول هلل ، وعقيبا Akiba ، ومائير Meir مراراً عدة أن يصنفوها ويستعينوا على استظهارها ببعض الأساليب والرموز ، ولكن هذه التصانيف والرموز والحيل لم يحظ شىء منها بالقبول من جمهرة اليهود .

وكانت نتيجة هذا أن أصبح الاضطراب فى نقل الشريعة كلها عن ظهر القلب مروعا . وكان مازاد الطين بلة أن تشتت اليهود قد عمل على تفرق هذه القلة من حفظة الشريعة فى أقطار نائية .

وحوالى عام ١٨٩ م تابع الحبر يهوذا هنسيا Jehuda Hanasi فى قرية صبورة بفلسطين عمل عقيبا Akiba ومائير Meir ، وعدله ، وأعاد ترتيب الشريعة الشفوية بأكملها ثم دونها وزاد عليها إضافات من عنده . فكانت هى مشنا(١) الحبر يهوذا .

(١) المشنا : المتن ، الجمارة : الشروح .
المشنا + الجمارة = التلمود : شريعة اليهود الشفوية .
التوراة : شريعة اليهود المكتوبة .

وترى أقلية من العلماء أن يهوذا لم يدون مشناه ، بل إنها أخذت تنتقل شفويا من جيل إلى جيل حتى القرن الثامن الميلادى . ومن شاء معرفة رأى الأغلبية فليرجع إلى كتاب ج . ف. مور المسمى « اليهودية فى القرون الأولى من التـــاريخ المسيحى » G. F. moore; Judaism in the First Centuries of the Christian Era. طبعة جامعة كمبردج بولاية مسشوستس عام ١٩٣٢ المجلد الأول ص ١٥١ .

كذلك كتاب و. ا. أوسترلى المسمى « نظرة قصيرة فى الآداب الدينية اليهودية فى العصور الوسطى » W.O. Oesterley & G. H. Box Short Survey of the Literature of Rabbinicals and mediëval Judaism. London, 1920, P. 83.

وانتشرت هذه بين اليهود انتشاراً أصبحت معه بعد زمن ما هى المشنا المعتمدة لشريعة اليهود الشفوية. والمشنا « أى التعاليم الشفوية » كما نعرفها اليوم هى الصورة النهائية لطبقات مختلفة كثيرة ، وقد أدخلت عليها حواش متعددة من أيام يهوذا إلى الآن .

ولـكنها مع هذا خلاصة مدبجة محكمة ، وضعت لـكى تحفظ عن ظهر القلب بكثرة التـكرار . ولهذا فإن من يقبل على قراءتها يرى أن عبارتها المحـكمة الجامعة الغامضة تعذب قارئها بما تبعثه فى نفسه من الآمال الـكاذبة الخادعة ، اللهم إلا إذا كان القارىء ملما بحياة اليهود وتاريخهم .

وقد قبلها يهود بابل وأوربا كما قبلها يهود فلسطين ولـكن كل مدرسة فسرت أمثالها وحكمها تفسيراً يخالف مافسرته الأخرى . وقد اشتركت ستة

أجيال (١) (١٠ - ٢٢٠) من الأحبار المعروفين بالتنائم Tannaim (٢) فى صياغة المشنا كما اشتركت ستة أجيال (٢٢٠ - ٤٣٠) من الأحبار المعروفين بالأمورائم Amoraim(٣) فى طائفتين ضخمتين من شروح المشنا وهما الجمارة الفلسطينية والجمارة البابلية وبذلك أخذ المعلمون الجدد فى تلقين التوراة وهم يدعون بالسبورائم(٤) .

ومن هذه الطبقات الثلاث طبقة التنائم ، والأمورائم ، والسبورائم يتكون المجتمع الربانى اليهودى . وتداول التنائم الجدد والسبورائم الجدد مشنا يهوذا فتناقشوا فى المتن وحللوه وفسروه ، وعدلوه ،ووضحوه ، لكى يطبقوه على المشاكل الجديدة ، وعلى ظروف الزمان والمكان .

ولما قارب القرن الرابع الميلادى الانتهاء نسقت مدارس فلسطين شروحها وصاغتها فى الصورة المعروفة بالجمارة الفلسطينية .

وفى سنة ٣٩٧ م شرع رب آسى Rab Ashi رئيس جامعة سورا Sura College فى تقنين الجمارة البابلية وظل يواصل العمل فى ذلك التقنين جيلا من الزمان . وفى سنة ٤٩٧ م استأنف ربينا بار شمويل وهو أيضاً من جامعة سورا مابدأه رب آسى وانتهى من عمله سنة ٤٩٩ . وإذا ذكرنا أن الجمارة البابلية أطول من المشنا إحدى عشرة مرة ، بدأنا نعرف لم استغرق جمعها مائة عام كاملة .

وظل الأحبار السبورائم « المناطقة » مائة وخمسين سنة (٥٠٠ - ٦٥٠) يراجعون هذه الشروح الضخمة ويصقلون التلمود البابلى الصقل الأخير .

---

(١) الجيل : ٣٥ سنة .
(٢) التنائم Tannaim : معلمو الشريعة .
(٣) الأمورائم Amoraim : الشراح .
(٤) السبورائم : المناطقة .

التلمود — المشنا — الجمارة — الهلكا — الهجدة

ولفظ التلمود يعنى التعليم أو الشريعة الشفوية ، ولم يكن الأمورائم « الشراح » يطلقون هذا اللفظ إلا على المشنا . أما الآن فأصبح التلمود يعنى المشنا والجمارة معا ، والمشنا أى المتن فى التلمود البابلى هى بعينها مشنا التلمود الفلسطينى ، ولا يختلف التلمودان إلا فى الجمارة أو الشروح ، فهى فى التلمود البابلى أربعة أمثالها فى التلمود الفلسطينى(١) .

ولغة الجمارة البابلية ولغة الجمارة الفلسطينية هى اللغة الآرامية . أما لغة المشنا بالإيجاز ، فهى تعبر عن القانون الواحد بقليل من السطور ، أما الجمارتان البابلية والفلسطينية فتنبسطان عن قصد وتعمد . وتذكران بإسهاب مختلف آراء كبار الأحبار عن نصوص المشنا وتضيفان الظروف التى قد تتطلب تعديل القانون ، وتضيفان كثيراً من الإيضاحات . ومعظم

---

(١) يشتمل التلمود البابلى على ٢٩٤٧ ورقة من القطع الكبير ، وتنقسم المشنا إلى ستة سدريات Sedarim « ست فصائل » وينقسم كل سدريم إلى عدد من المسكتات Masechtoth « المقالات » يبلغ مجموعها ثلاثا وستين مسكتة ، وتنقسم كل مسكتة إلى عدد من البرقيمات Perakim « الفصول » وكل برقيم إلى مشنيوتات Mishnayoth « تعاليم » — وتشتمل الطبعات الحديثة من التلمود عادة على : شروح راشى Rashi (١٠٤٠ — ١١٠٥) وهذه تظهر على الهامش الداخلى لصفحات المتن ، وتوسافوتات Tosaphoths « إضافات » وهى مناقشات فى التلمود للأحبار الفرنسيين والألمان من رجال القرنين الثانى عشر والثالث عشر وهذه تظهر على الهامش الخارجى لصفحات المتن .

وتضيف عدة طبعات إلى هذه وتلك توسفتات Tosefta « تكملات » وهى بقايا من الشريعة الشفوية التى تخلو منها مشنا يهوذا هنسيا Jehuda Hanasi وأيضاً إضافات من المدرش Medrash « التفسير » وهى خطب ألقاها التنائم Tannaim أو الأمورائم Amoraim ولكنها جمعت ودونت خلال الفترة المحصورة بين القرنين الرابع والثانى عشر تشرح فى أسلوب شعبى سهل كتبا مختلفة من الكتب العبرية المقدسة .

Reference to the Mishna Will be by tractate, chapter, and Section, to the Babylonian Gemara by tractate and folio sheet.

المشنا نصوص قانونية وقرارات « هلكا » Halacha أما الجمارتان فبعضهما « هلكا » إعادة نص قانون أو بحثه وبعضهما هجدة Haggadi «قصص»، وأكثر ماتسجله الهجدة هو القصص والأمثلة الإيضاحية ، وأجزاء من السير والتاريخ ، والطب ، والفلك ، والتنجيم ، والسحر ، والتصوف ، والحث على الفضيلة والعمل بالشريعة . وكثيراً ماتروح الهجدة عن نفس طلاب العلم بعد جدل معقد متعب .

الشريعـــة

يقول رجال الدين اليهودى إن واجب الإنسان أن يدرس الشريعة مسطورة وشفوية ، ومن حكمهم المأثورة فى هذا المعنى قولهم إن دراسة التوراة أجل قدراً من بناء الهيكل ، وإن من واجب الإنسان وهو منهمك فى دراسة الشريعة أن يقول لنفسه كل يوم : « كأن فى هـــذا اليوم قد تلقيناها من طور سيناء » . وليست الدراسات الأخرى بعد ذلك واجبة .

فالفلسفة اليونانية والعلوم الدنيوية لاتصح دراستها إلا فى تلك الساعات التى ليست ليلا ولا نهاراً . ويعتقد اليهود أن كل كلمة من كتابهم التوراة من كلمات الله بالمعنى الحرفى لهذه العبارة .

وحتى سفر نشيد الإنشاد نفسه إن هو إلا ترنيمة موحى بها من عند الله لتصور بصورة مجازية اقتران يهوه بإسرائيل عروسه المختارة . ومن سفر نشيد الإنشاد نقتطف : « ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر .. فى الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسى طلبته فما وجدته . . . قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه ؟ قد غسلت رجلى فكيف أوسخهما ؟ حبيبى مد يده من الكوة فأنت عليه أحشائى .. » (١) .

---

(١) سفر نشيد الإنشاد ١ : ٢ و ٣ : ١ و ٥ : ٣ ـ ٤ .

« ليتك كأخ لى الراضع ثديى أمى فأجدك فى الخارج وأقبلك ولا يخزوننى . وأقودك وأدخل بك بيت أمى وهى تعلمنى فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمانى . شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى » (١) .

« اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك ؛ لأن المحبة قوية كالموت . الغيرة قاسية كالهاوية ، لهيبها لهيب نار لظى الرب . مياه كثيرة لاتستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لاتغمرها . إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقاراً » (٢) .

وإن الشريعة قد وجدت لاستتباب النظام ووحدة الكون وفى انعدامها حتما انتشار الفوضى الأخلاقية. ومن هنا فإن الشريعة قد وجدت لامحالة قبل أن يخلق العالم « فى صدر الله وعقله(٣) » ، وكان إنزالها على موسى مجرد حادث من حوادث الزمان . والتلمود أو بعبارة أدق جزؤه الذى يبحث فى الشريعة الشفوية المتضمنة « الهلكا ، والهجدة » هو أيضاً كلمات الله الأزلية وهو صياغة للقوانين التى أوحاها الله إلى موسى شفويا ثم علمها موسى لخلفائه ، ولهذا فإن مافيها من أوامر ونواه واجبة الطاعة تستوى فى هذا مع كل ماجاء فى التوراة(٤) .

---

(١) نشيد الإنشاد ٨ : ١ — ٣ .

(٢) نشيد الإنشاد ٨ : ٦ — ٧ .

(٣) قارن بذلك مايعتقده الصينيون الأقدمون من أن حركة العالم وبقاءه إنما يعتمدان على القانون الأخلاقى — وتشبيه هرقليطس صور الكواكب السيارة بالذنوب ، وأفكار أفلاطون النموذجية الأصلية المقدسة صدى لما جاء بسفر الأمثال: « الرب قنانى أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم . منذ الأزل مسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض » . أمثال ٨ : ٢٢ — ٢٣ . والإسلام يعتقد صدقا ويقينا بأزلية القرآن الكريم .

(٤) لم يقر أى مجمع يهودى رسمى هذا الرأى التلمودى الخاص بالتلمود ، هذا بالإضافة إلى أن اليهودية الحديثة بعد إصلاحها ترفضه .

ومن أحبار اليهود من يجعلون المشنا مرجعا أقوى حجة من الكتاب المقدس ، لأنها صورة من الشريعة معدلة جاءت متأخرة عنها ، وكانت بعض قرارات الأحبار تتعارض تعارضا صريحا مع قوانين أسفار موسى الخمسة ، أو تفسرها تفسيراً يبيح مخالفتها . وكان يهود ألمانيا وفرنسا فى العصور الوسطى يدرسون التلمود أكثر مما يدرسون التوراة نفسها .

ومن المبادىء البديهية فى التلمود ، كما أن من المبادىء البديهية فى التوراة ، وجود إله عاقل قادر على كل شىء . وقد وُجد بين اليهود من حين إلى حين عدد من المتشككين أمثال « اليشع بن أيوبا » العالم الذى اتخذه الكوهن مائير صديقا له ، ولكن يبدو أن أولئك المتشككين كانوا أقلية صغيرة لا تكاد تجهر بآرائها .

والله كما يصفه التلمود إله متصف صراحة بصفات البشر ، فهو يحب ويبغض ويغضب ويضحك ويبكى ويشعر بوخز الضمير ، ويلبس التمائم ، ويجلس على عرش يحيط به طائفة من الملائكة المختلفى الدرجات يقومون على خدمته ، ويدرس التوراة ثلاث مرات فى كل يوم .

واليهود لا يفتئون يجهرون بوحدانية الله فى حماسة قوية . ويندون بشرك الوثنية ، وبما يبدو فى المسيحية من تثليث .

وهم يجهرون بهذه الوحدانية فى أشهر صلواتهم ، وأكثرها انتشاراً بينهم ألا وهى صلاة « شمع يسرائيل » وفحواها : « اسمع يا إسرائيل ! الله إلهنا الله واحد » ؛ وليس ثمة مكان بجواره فى هيكله أو فى عبادته لمسيح أو نبى أو قديس .

النهى عن ذكر لفظ الجلالة « الله » :

وقد نهى أحبار اليهود الناس عن ذكر اسم « الله » إلا فى أحوال نادرة . ويقصدون بذلك أن يحولوا بينهم وبين تدنيسه ، أو اتخاذه وسيلة

للسحر . ولكى يتجنبوا النطق بهذا الاسم الرباعى « يهوه » كانوا يذكرون بدلا منه لفظ « أدوناى » أى الرب ، بل ويشيرون بأن يستعمل بدلا منه عبارات مثل « الواحد المقدس » أو « الواحد الرحمن » أو « السماوات » أو « أبانا الذى فى السماوات » .

وفى اعتقادهم أن الله قادر على صنع المعجزات ، وأنه يصنعها فعلا ، وخاصة على أيدى كبار الأحبار ، ولكن يجب ألا يظن أن هذه المعجزات خرق لقوانين الطبيعة إذ ليس ثمة قوانين إلا إرادة الله .

ولقد رأوا معجزات على يد موسى : « ومد موسى يده على البحر . فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء . فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم » (١) .

وفى عهد يشوع خليفة موسى عليه السلام طلب أن تقف الشمس : « حينئذ كلم يشوع الرب . . وقال أمام عيون إسرائيل : يا شمس دومى على جبعون ويا قمر على وادى أيَّلون . فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه .. فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل » (٢) .

وفى عهد موسى نطقت أتان : « فلما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام فحمى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب . ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام : ماذا صنعت بك حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات ؟ .. ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فخر ساجدا على وجهه » (٣) .

---

(١) خروج ١٤ : ٢١ — ٢٢ • موقع المعجزة مدينة السويس الحالية .
(٢) يشوع ١٠ : ١٢ — ١٤ .
(٣) عدد ٢٢ : ٢٧ — ٣٢ .

وفى عهد إيليا أقام ميتا من الموت : «وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبق فيه نسمة فقالت لإيليا : مالى ولك يا رجل الله . هل جئت إلى لتذكير إثمى وإماتة ابنى فقال لها : أعطينى ابنك . وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التى كان مقيما بها وأضجعه على سريره وصرخ إلى الرب وقال : أيها الرب إلهى أأيضاً إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها ؟ ! فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال : يارب إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا ، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش ، فأخذ إيليا الولد ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه لأمه ، وقال إيليا : انظرى ابنك حى ، فقالت المرأة لإيليا : هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب فى فمك حق » (١).

الحياة والشريعة

ليس التلمود من التحف الفنية ، ذلك بأن جمع أفكار ألف عام كاملة ووضعها فى مجموعة مترابطة متناسقة عمل لا يقوى عليه حتى مائة حبر من الأحبار الصابرين .

وما من شك فى أن كثيراً من المقالات قد وضعت فى غير موضعها من التلمود ، وأن عدداً من الفصول قد وضع فى غير المقالات التى يجب أن يوضع فيها ، وأن موضوعات تبدأ ثم تترك ، ثم تبدأ من جديد على غير قاعدة موضوعة .

وليست كتابة التلمود ثمرة تفكير بل هى التفكير نفسه ؛ فكل الآراء المختلفة قد دونت فيه ، وكثيراً ما تترك النقط المتعارضة دون أن تحل أو تفسر ، وكأننا قد اجتزنا خمسة عشر قرنا من الزمان كيما ننصت إلى نقاش

---

(١) الملوك الأول ١٧ : ١٧ — ٢٤

أشد المدارس إخلاصا للتلمود ، ونستمع إلى آراء وكتابات وتفسيرات الأحبار عقيبا ، ومائير ، ويهوذا هنسيا ، ورب ، فى أثناء جدلهم العنيف .

إذا ذكرنا هـذا استطعنا أن نجد هذه الأقوال من جدل وسفسطة وأقاصيص غير مصدقة وتنجيم وأحاديث عن الجن وعن الشياطين ، وخرافات ومعجزات وأسرار الأعداد ، وأحلام وحى ، ونقاش لا آخر له ، تنسج نسيجا مهلهلا من الخيالات والأوهام والغرور الذى يعزيهم ، ويأسو جراحهم ويخفف من لوعتهم على آمالهم الضائعة . ولا أدل على ذلك من أسفار الابوكريفا التى تضمنها الكتاب المقدس منها قصة يهوديت وتاريخ المكابيين والأسفار المزيدة من سفر دانيال وهى قصة البعل والتنين .

وإذا ما اشمأزت نفوسنا من قسوة هذه القوانين ومن حساسية هـذه النظم وتدخلها فيما لا يصح أن تتدخل فيه ، وما يجازى به من يخرقها أو يتهاون بها من شدة وبطش ، فإن من واجبنا ألا نحمل هـذه المسألة محمل الجد . ذلك أن اليهود لم يدعوا قط لأن يطيعوا هذه الوصايا كلها بل أن يسيروا فى سلوكهم الشخصى بمقتضاها . على أن أحبارهم كانوا يغضون أبصارهم عما يجدونه فى كل صفحتين من كتاباتهم من ثغرات بين نصائحهم التى تدعو إلى الكمال ، وبين ما فى الطبيعة البشرية من ضعف خفى . وفى ذلك يقول أحد الأحبار الحذرين : « لو أن إسرائيل قد حرصت الحرص الواجب على تعشير شبت واحد لجاء ابن داود من فوره » . ولم يكن التلمود كتاب قوانين يطلب إلى اليهود إطاعتها جملة وتفصيلا ، بل كان سجلا لآراء الأحبار ، جمعه جامعوه ليهتدى به الناس إلى الحياة الصهيونية ، غير أن قلة من الجماهير غير المثقفة انتقت مختارات من الأوامر جاءت بها الشريعة كنبراس لسبيلهم .

وقيل إن موسى قد جاء متخفياً إلى الحجرة التى يلقى فيها عقيبا دروسه ، حيث جلس فى الصف الأخير ودهش من كثرة القوانين التى استنبطها المعلم الكبير من الشريعة الموسوية ، والتى لم يحلم بها كاتبها قط .

ولقد ظل التلمود أربعة عشر قرنا من الزمان أساس التربية اليهودية وجوهرها ، وكان الشاب العبرانى ينكب على دراسته سبع ساعات يوميا لمدة سبع سنوات يتلوه ويثبته فى ذاكرته بلسانه وعينه ، وكان هو الذى يكون عقولهم ويشكل أخلاقهم بما تفرضه دراساته من نظام دقيق ، وبما يستقر فى عقولهم من معرفة ، شأنه فى هذا شأن كتابات كنفوشيوس التى كان يستظهرها الصينيون كما يستظهر اليهود التلمود ، ولم تكن طريقة دراسته مقصورة على تلاوته وتكراره ، بل كانت تشمل فوق ذلك مناقشة بين المدرس والتلميذ ، وبين التلميذ والتلميذ ، وتطبيق القوانين القديمة على ما يستجد من الظروف ، وقد أفادت هذه الطريقة حدة فى الذهن وتقوية للذاكرة ، وتثبيتا للمعلومات ميزت اليهودى من غيره فى كثير من الميادين التى تتطلب الوضوح ، وتركيز الذهن ، والمثابرة والدقة ، وإن كانت فى الوقت نفسه قد عملت على تضييق أفق العقل اليهودى والحد من حريته . ولقد روض التلمود طبيعة اليهودى الثائرة المهتاجة وكبح جماح نزعته الفردية ، وبث فيه روح العفة والوفاء لأسرته وعشيرته ، ولربما كان « نير الشريعة » عبئا ثقيلا على ذوى العقول السامية الكبيرة ، ولكنه كان السبب فى نجاة اليهود بوجه عام

ولقد كان التلمود على حد قول هينى Heine وطنا متنقلا لليهود يحملونه معهم أينما ساروا . فحيثما وجد اليهود ، حتى وهم جالية واجفة فى أرض الغربة ، كان فى وسعهم أن يضعوا أنفسهم مرة أخرى فى عالمهم « الجيتو » ، وأن يعيشوا مع أنبيائهم وأحبارهم ، وذلك بأن يرووا عقولهم وقلوبهم من فيض هذه الشريعة ، فلا غرابة والحالة هذه إذا عشقوا التلمود وجعلوه

فى أيامنا هذه أثمن ما تمتلكه معابدهم وبيوتهم ، واتخذوه ملجأ وسلوى وملاذاً للروح اليهودية

المرأة فى التلمود

إن قوانين التلمود بوجه عام من وضع الأحبار ، وبمعنى آخر من وضع الرجال ، وهى لذلك تحابى الذكور محاباة بلغ من قوتها أن بعثت فى نفوس أحبار اليهود الفزع من قوة المرأة . وهم يلومونها كما يلومها الآباء المسيحيون لأنها أطفأت « روح العالم بسبب تشوف حواء المنبعث من ذكائها » . وكانوا يرون أن المرأة خفيفة العقل وإن كانوا يقرون بأنها وهبت حكمة غريزية لا وجود لها فى الرجل ، وهم يأسفون أشد الأسف لما جبلت عليه المرأة من ثرثرة ، ويقولون فى أساطيرهم : « لقد نزلت على العالم عشرة مكاييل من الكلام أخذت المرأة منها تسعة ، وأخذ الرجل واحداً » .

ونددوا بانهماكها فى السحر والشعوذة ، وما إليهما من الفنون الروحية الخفية ، وفى افتتانها بالأصباغ والكحل ، ولم يكونوا يرون بأساً فى أن ينفق الرجل بسخاء على ملابس زوجته ، ولكنهم يطلبون منها أن تتجمل لزوجها لا لغيره من الرجال

وفى القضاء على حد قول أحد الأحبار تعدل شهادة مائة امرأة شهادة رجل واحد . وكانت حقوق النساء الملكية محددة فى التلمود بالقدر الذى كانت محددة به فى إنجلترا فى القرن الثامن عشر ، فمكاسبهن وما يئول إليهن من ملك إنما هو حق لأزواجهن ، ومكان المرأة هو البيت . ويقول أحد الأحبار المتفائلين : إن المرأة فى عصر المسيح الثانى « ستلد طفلا فى كل يوم » ، وإن الرجل الذى له زوجة خبيثة لن يرى وجه جهنم .

الباب الثانى

نماذج من التلمود

« إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ،
أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »

(البقرة : ١٥٩)

يبدو أنه بعد أن قربت عقيدة إسرائيل من التوحيد انتكست مرة أخرى انتكاساً كبيراً فى العهد الذى ألف الأحبار فيه التلمود وهو « القرون الستة الأولى بعد الميلاد » .

فأسفار التلمود تظهر إله إسرائيل متصفا بكثير من صفات الحوادث وصفات النقص .

ويبدو ذلك على الأخص فيما يرويه التلمود عن نشاط الله وأعماله فى الليل والنهار ، وعن حالته بعد هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل . فتقرر بعض أسفاره أن الله يقضى الساعات الثلاث الأولى من النهار فى مذاكرة الشريعة ، والساعات الثلاث الثانية فى تدبير شئون الحكم بين الناس ، والساعات الثلاث الثالثة فى تدبير العيش للخلق ، وأما الساعات الثلاث الأخيرة من النهار فيقضيها فى اللعب مع الحوت ملك الأسماك ، وهو حيوان كبير جداً يتسع حلقه لسمكة طولها ثلثمائة فرسخ بدون أن تضايقه ، وقد رأى الله أن يحرمه من أنثاه حتى لا يتناسلا فيملآن الدنيا وحوشا تهلك من فيها وتأتى على الحرث والنسل ، ولهذا حبس الذكر بقوته الإلهية ، وقتل الأنثى وملحها وحفظها لطعام المؤمنين فى الفردوس . وأما ساعات الليل فيقضيها الإله فى مذاكرة التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين الذى يصعد إلى السماء كل ليلة ثم يهبط منها إلى الأرض بعد انتهاء هذه الندوة العلمية .

وقد تغير هذا النظام بعد أن قدر الله على هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل ، فقد اعترف الإله بخطئه فى هذا الصدد وندم على ما فعله ، وخصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم .

وكان إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما في الآفاق ، وتضطرب المياه وترتجف الأرض فتنجم عن ذلك الزلازل .

ويزعم التلمود أن الله يردد فى أثناء بكائه ونحيبه عبارات تدل على ندمه على ما فعل فيقول : « تبا لى ! أمرت بخراب بيتى وإحراق الهيكل وتشريد أولادى » . ويقول حينما يسمع الناس يمجدونه : « طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك ، وويل للأب الذى يمجده أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك ، لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء » . ويقرر التلمود كذلك أن الإله قد تستولى عليه نزوة غضب فيقسم ليأتين أعمالا شريرة أو غير عادلة ثم يثوب إلى رشده فيتحلل من يمينه كما حدث يوم أن غضب على بنى إسرائيل فى الصحراء ، وأقسم أن يبيدهم ، ثم رجع عن عزمه وتحلل من يمينه بعد أن انقشعت نزوة غضبه .

« وكان فى الغد أن موسى قال للشعب : أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة ، فأصعد الآن إلى الرب لعلى أكفر خطيتكم . فرجع موسى إلى الرب ، وقال : آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب . والآن إن غفرت خطيتهم ، وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت . فقال الرب لموسى : من أخطأ إلى أمحوه من كتابى . والآن اذهب اهد الشعب إلى حيث كلمتك . هوذا ملاكى يسير أمامك ، ولكن فى يوم افتقادى أفتقد فيهم خطيتهم . فضرب الرب الشعب لأنهم صنعوا العجل الذى صنعه هارون » (١) .

وجاء فى التوراة أن موسى أغلق على شعب إسرائيل بوصيته : « احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين . احترز من أن تقطع عهداً

---

(١) خروج ٣٢ : ٣٠ — ٣٥ .

مع سكان الأرض التى أنت آت إليها لئلا يصيروا فخا فى وسطك . بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم ، فإنك لاتسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور ، إله غيور هو ، احترز من أن تقطع عهد أمع سكان الأرض ، فيزنون وراء آلهتهم ، فتدعى وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزنى بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن » (١) .

وجاء أيضاً من وصاياه : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك » (٢) .

نشأة اللغة العبرية

إذا كان كل شعب يجل لغته ، ويعظمها ، ويرفعها فوق كل لغة ، ويعتز بها ويسمو بمكانتها فوق كل لهجة ، فإن مكان اللغة العبرية من الشعب الإسرائيلى مكان الأم من أبنائها .

قالوا : ولكنها لم تذكر (بالنص) فى الكتب المقدسة ، وهو ما يدل على أن هذه التسمية كانت من عمل غير العبريين ، قالوا : وإنما ذكر فى سفر ، إشعياء : « فى ذلك اليوم يكون فى أرض مصر خمس مدن تتكلم

---

(١) خروج ٣٤ : ١١ — ١٦ .

(٢) تثنية ٢٠ : ١٠ — ١٤ .

بلغة كنعان »(١) مسماة باسم كنعان حفيد نوح عليهما السلام. ثم أطلقوا عليها اسم اليهودية: « ثم وقف ربشاقى ونادى بصوت عظيم باليهودى وقال: اسمعوا كلام الملك العظيم ملك أشور » (٢)، « فقال الياقيم بن حلقيا وشبنة ويواخ لربشاقى: كلم عبيدك بالآرامى لأننا نفهمه ولا تكلمنا باليهودى فى مسامع الشعب »(٣).

على أننا وجدنا فى سفر نحميا هذا الاسم (يهودى) ولكنه لم يرد له ذكر إلا بعد هجرة العشرة الأسباط — هنالك كان هذا النعت يطلق على اللغة والأمة أيضاً: « فى تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب » (٤).

والفرق كبير بين لفظتى: عبرى — وإسرائيلى، لأن لفظ عبرى إنما كان ينعت به الشعب قبل ظهور الأسباط وفى الأيام الخالية، أما بعد ذلك فقد اعتزوا بهذه التسمية، وأصبحوا يفخرون بالإسرائيلية.

على أننا لانجد من بين المؤرخين اليونانيين والرومان — مثل بوزينيوس وطصطيوس وحتى المؤرخ اليهودى الشهير يوسيفوس — من ذكر اليهود أوسماهم بالإسرائيليين، وإنما كلهم يجمعون على تسميتهم (بالعبريين). « وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك ... فأخذ أبرام ساراى امرأته ولوطا ابن أخيه وكل

---

(١) إشعياء ١٩ : ١٨ .
(٢) إشعياء ٣٦ : ١٣ .
(٣) ملوك ثان ١٨ : ٢٦ .
(٤) نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٤ .

مقتنياتهما التى اقتنيا ، والنفوس التى امتلكا فى حاران . وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى أرض كنعان »(١).

قالوا : والتاريخ يجهل نشأة اللغة العبرية من عهدها الأول ، إنما غاية ما يعرفه أنها وليدة أرض كنعان ، وأنها كانت تجرى على ألسنة قبائل الكنعانيين والفينيقيين — سكان فلسطين قبل أن يسكن أبناء إبراهيم تلك البلاد .

ولقد زارت مصر مع أبناء يعقوب حفيد إبراهيم وعادت معهم إلى موطنها الأول — أرض كنعان .

وكنعان اسم يقع ويشمل — كل عشائر الكنعانيين ، سكان فلسطين وماتاخمها من بلاد سوريا — ذلك الجزء الذى يقع على سكانه نعت الفينيقيين ، وقد وجدت عملة من آثارهم تشهد بذلك ، وتعزز هذا الرأى .

ترجمة التوراة

ترجمت التوراة بلغة « رها » وصارت الترجمة معروفة مقروءة عند النصارى الآراميين مألوفة فى كنائسهم .

أما اسم آرام وآراميين ، فقد تبدل ونسخ معناه ، وصار المسيحيون واليهود يطلقون هذ الاسم على الوثنيين من بنى آرام أو الآراميين . من أجل ذلك صار هذا الاسم بغيضا مكروها عند أصحاب الدين المسيحى وغيروا اسمهم من آراميين إلى سريان وصارت لغتهم سريانية ، آخذين هذا الاسم من اللغة اليونانية ، واستملح يهود ونصارى فلسطين هذا اللفظ « سريانية » ، وكان اليونان والعجم يسمون بنى آرام الساكنين فى أرض بابل بالسريان . وليس من الوجاهة فى شىء أن تسمى لغـة « رها » بالسريانية .

---

(١) تكوين ١٢ : ١ ، ٥ .

السامريون واليهود

قالت المرأة السامرية للمسيح عليه السلام : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون : إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه »(١) .

يزعم السامريون أنهم على حق وأنهم أصحاب الدين الخالص ، آيتهم فى ذلك أنهم لم يهجروا بلادهم إلى بابل كما هاجر الذين يحاجونهم فى ذلك ، ولكنهم لبثوا فى أرضهم مقيمين قانتين حفظة كراما للدين .

ويقول اليهود : بل ليس السامريون على شيء ، ولانهم (اليهود) يعلمون ويوقنون أن أباهم حافظ للدين فلا يمسه سوء ، لأنه الحق المبين . وأن الله كان مدركهم وهاديهم فى مهجرهم ثم أنهم عادوا من بعد ذلك إلى أورشليم « بيت المقدس » بيت الله وهم على دينهم الحنيف . قالوا : أما آباؤكم أيها السامريون فقد تزوجوا من نساء وثنيات ، فاختلط الدم بالدم ، واستبحتم ماحرمنا على أنفسنا . ثم لم تقف بكم الحال عند هذا الحد بل جعلتم بناتكم حلا للوثنيين تصاهرونهم وتخالطونهم .

ولقد جمع السامريون من التوراة أسفار موسى الخمسة وكانت لهم هذه الأسفار بالعبرية بالخط العبرى القديم ثم ترجموها إلى اللغة الآرامية ، وبلهجة سامرية ، بعد أن شاعت اللغة الآرامية وذاعت فى بلاد فلسطين .

---

(١) انجيل يوحنا ٤ : ٢٠ .

الشريعة فى أسفار اليهود

وقيامها على التفرقة العنصرية وعدم وحدتها

تضمنت أسفار العهد القديم والتلمود تنظيما كاملا لشئون الدين والدنيا معا ، فلم تغادر أى ناحية من نواحى العبادات وشئون المعاملات والسياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والتربية والأخلاق والحرب والعلاقات الدولية وواجبات الفرد نحو نفسه وأسرته ووطنه ، وما إلى ذلك ، لم تغادر أية ناحية من هذه النواحى وغيرها إلا وضعت حدوداً وقواعد وبينت ماينبغى أن تكون عليه ، وما يجب اتخاذه فى حالة الخروج عليها ، حتى شئون الأكل والشرب ، والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجه والحيض والنفاس والزراعة والحصاد واستخدام الأنعام فى الحرث . غير أنه يلاحظ فى هذه الشريعة كثير من مظاهر الانحراف والتضارب واختلاط المسائل نذكر منها :

قيام الديانة اليهودية على التفرقة العنصرية :

وذلك أنها تجعل اليهود الشعب المختار الذى اصطفاه الله وفضله على العالمين : « والآن هكذا يقول الرب خالقك يايعقوب وجابلك يا إسرائيل. لاتخف لأنى فديتك . دعوتك باسمك . أنت لى . إذا اجتزت فى المياه فأنا معك وفى الأنهار فلا تغمرك . إذا مشيت فى النار فلا تلذع واللهيب لايحرقك . لأنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك. جعلت مصر فديتك كوش وسبا عوضك . إذ صرت عزيزا فى عينى مكرما وأنا قد أحببتك أعطى أناسا عوضك وشعوباً عوض نفسك »(١). ومن هذا السند ندرك ادعاءاتهم أنهم شعب الله المختار وأصبحوا ينظرون إلى ماعداهم من

(١) إشعياء ٤٣ : ١ — ٤ .

الشعوب نظرتهم إلى شعوب وضيعة فى سلم الإنسانية ، حتى دارون صاحب النظرية القائلة بأن الإنسان من سلالة القرد وتدرج فى تطوره حتى وصل إلى حالته الراهنة كانت العقيدة اليهودية والعنصرية الإسرائيلية تسيطر على ذهنه . وعلى العموم فإن هذه الشريعة تضع قوانينها ونظمها على أساس التفرقة العنصرية : « فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لايرث مع ابنى إسحق »(١) . فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام القانون وفى كثير من شئون الاجتماع فمن ذلك مثلا أن الإسرائيليين محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضا ، وأن يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، على حين أنه مباح للإسرائيليين ، بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى وخاصة شعب كنعان ، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن يضربوا رقاب جميع رجاله البالغين بحد السيف . فلا يبقوا على أحد منهم ويسترقوا جميع نسائه وأطفاله ، ويستولوا على جميع ما فيه من مال وعقار ومتاع أو ينهبوه حسب تعبير أسفارهم : « وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك »(٢) .

ومن ذلك أن الإسرائيلى إذا باع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الإسرائيلى فى حالة عوزه وحاجته إلى المال ، فإن رقه يكون موقوتا بأجل يرجع بعده إلى حريته ، على حين أن الرق المضروب على غير الإسرائيلى يظل أبد الآبدين : « وتقدسون السنة الخمسين وتنادون بالعتق فى الأرض لجميع سكانها تكون لكم يوبيلا وترجعون كل إلى ملكه وتعودون كل إلى عشيرته »(٣) ، « وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد

---

(١) تكوين ٢١ : ١٠ .
(٢) التثنية ٢٠ : ١٣ — ١٤ .
(٣) لاويين ٢٥ : ١٠ .

عبد . كأجير كنزيل يكون عندك . إلى سنة اليوبيل يخدم عندك . ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته وإلى ملك آبائه يرجع . لأنهم عبيدى الذين أخرجتهم من أرض مصر لايباعون بيع العبيد . لاتتسلط عليه بعنف بل اخش إلهك . وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم . منهم تقتنون عبيدا وإماء . وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملكا لكم . وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك . تستعبدونهم إلى الدهر ؛ وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف »(١) ، « إذا بيع لك أخوك العبرانى أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففى السنة السابعة تطلقه حرا من عندك ، وحين تطلقه حرا من عندك لاتطلقه فارغا »(٢) ، « إذا اشتريت عبداً عبرانيا فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجانا »(٣) .

ومن ذلك أنه ما كان يجوز للإسرائيلى أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلى ولا أن يأخذ منه رهنا بدينه ، وإذا أخذ منه فى الصباح رهنا من المتاع الذى لايستغنى عنه فى حياته اليومية كالرحا وما إليها وجب أن يرده إليه فى المساء ، أما غير الإسرائيلى فمباح للإسرائيلى أن يمتصه ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش : « الأجنبى تطالب وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه »(٤) ، « لاتقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء ما مما يقرض بربا . للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لاتقرض بربا لكى يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها »(٥) .

---

(١) لاويين ٢٥ : ٣١ — ٤٦ .
(٢) تثنية ١٥ : ١٢ — ١٣ .
(٣) خروج ٢١ : ٢ .
(٤) تثنية ١٥ : ٣ .
(٥) تثنية ٢٣ : ١٩ — ٢٠ .

القصص فى أسفار اليهود

عرضت أسفار اليهود لتاريخ العالم من يوم نشأته إلى قبيل بعثة المسيح فتكلمت بإجمال على خلق السماوات والأرض وخلق آدم وحواء وتاريخهما فى الجنة وبعد هبوطهما منها وما حدث لنسلهما بعد ذلك. وقصة نوح والطوفان، وقصة أولاده الثلاثة سام وحام ويافث، وعرضت بشىء من التفصيل لتاريخ نسل سام، وهم الذين ينتمى إليهم بنو إسرائيل، وخاصة تاريخ إبراهيم وإسحق ويعقوب أو إسرائيل. ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بنى إسرائيل فى مختلف مراحل حياتهم فى مصر وسيناء وبعد استقرارهم فى الأرض المقدسة، وتاريخ من تولى شئونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك ولاويين وأحبار وربانيين. ومن بعث فيهم من رسل وأنبياء، وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى، وماجرى بينهم وبين هذه الشعوب من اشتباكات وحروب أو موادة ووفاق - وهلم جراً - وقد استغرق هذا القصص أكبر قسم من أسفار العهد القديم وقسما غير يسير من أسفار التلمود.

هذا، وقد انتاب القصص فى أسفار اليهود تحريف كبير عن الوضع الصحيح، ويبدو تحريفها هذا فى مواطن كثيرة يرجع أهمها إلى مايلى:

١ — أن الذات العلية تبدو فى أسفار توراتهم المزعومة، وبخاصة فى القديم منها كسفر التكوين، وفى بعض أسفار التلمود، صورة مجسمة متصفة بكثير من صفات الحوادث، بل بكثير من صفات النقص وغير مختلفة اختلافا كبيرا عن الخلق فى طبيعتها ومسلكها، على النحو الذى نتبينه فى قصة آدم وحواء الواردة فى سفر التكوين الاصحاح الثالث: «الرب إله غيور ومنتقم. الرب منتقم وذو سخط. الرب منتقم من مبغضيه وحافظ غضبه على أعدائه»(١).

---

(١) ناحوم ١ : ٢.

٢ — أن بعض من بعث فيهم من أنبياء أو رسل تذكرهم أسفار اليهود على أنهم مجرد آباء قدامى Patriarches كإبراهيم وإسحق أو على أنهم مجرد ملوك كداود وسليمان.

٣ — أن أسفارهم تنسب لبعض الأنبياء، أو لبعض من تسميهم آباء لبنى إسرائيل أو ملوكا لدولهم، أعمالا قبيحة تتنافى مع وضعهم الدينى والاجتماعى، بل تتعارض مع الخلق الكريم فى ذاته، ولا يتصور صدورها إلا من سفلة الناس.

منها ما تقرره أسفارهم من أن شعب كنعان قد كتب عليه فى الأزل أن يكون رقيقاً لبنى إسرائيل وأنه لا ينبغى أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة فى الحياة غير هذه الوظيفة، فإن تمردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على بنى إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف، وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله، وذلك أن نوحا — حسب مايزعمه سفر التكوين — قد شرب مرة نبيذ العنب الذى غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة، ففقد وعيه وانكشفت سوأته، فرآه ابنه حام على هذه الصورة فسخر منه، وحمل الخبر إلى أخويه سام ويافث. ولكن هذين كانا أكثر أدبا منه، فحملا رداء وسارا به القهقرى نحو أبيهما حتى لا يقع نظرهما على عورته، وسترا به ما انكشف من جسمه. فلما أفاق نوح وبلغه ماكان من موقف أولاده حياله، لعن كنعان بن حام ودعا على نسله أن يكونوا عبيداً لعبيد أولاد سام ويافث: «فلما استيقظ نوح من خمره علم مافعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. وقال: مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام، وليكن كنعان عبداً لهم»(١).

---

(١) تكوين ٩ : ٢٤ — ٢٧.

ومن ذلك ماتقصه توراتهم المزعومة عن إبراهيم حينما هاجر هو وزوجه سارة إلى مصر على إثر ماأصاب بلاده من جدب ومجاعة ، إذ تذكر أن إبراهيم قال لزوجته وهما فى طريقهما إلى مصر إنها امرأة جميلة وإن المصريين لا بد أن يفتتنوا بها وإذا علموا أنها متزوجة فسيقتلون زوجها لتخلص لهم بعد ذلك ، واتفق معها على أن يتظاهرا بأنها أخته حتى تسلم له حياته ، بل يناله حينئذ من المصريين خير كثير : « وحدث جوع فى الأرض ، فانحدر ابرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديدا . وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته : إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلوننى ويستبقونك . قولى إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك »(١).

وقد كرر إبراهيم فعلته هذه حسب ما يزعمه سفر التكوين حينما هاجر إلى منطقة جيرار : « وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب فى جرار ، وقال إبراهيم عن سارة امرأته : هى أختى . فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة . فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له : ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فإنها متزوجة ببعل »(٢) .

وكاد أبيمالك حاكم جيرار كما كاد سابقه فرعون مصر يرتكب الإثم مع سارة لولا أن أظهره الله فى المنام على حقيقتها وأنها امرأة إبراهيم لا أخته وعاتبه على كذبه ، ونفحه كذلك بهبة من النعاج والثيران . فكأنما إبراهيم يتاجر بامرأته هذه متنقلا بها من بلد إلى بلد: « فأخذ أبيمالك غنما

---

(١) تكوين ١٢ : ١٠ — ١٣ .
(٢) تكوين ٢٠ : ١ — ٣ .

وبقراً وعبيداً وإماء وأعطاها لإبراهيم. ورد إليه سارة امرأته » (١).

وحدث له ببيت فرعون كذلك : « فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ، فصنع إلى ابرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال »(٢).

ولا عجب أن سلك نفس السلوك إسحق : « وكان فى الأرض جوع غير الجوع الأول الذى كان فى أيام إبراهيم. فذهب إسحق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين ... وسأله أهل المكان عن امرأته فقال : هى أختى ؛ لأنه خاف أن يقول امرأتى لعل أهل المكان يقتلوننى من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر » (٣).

ومن ذلك ما تزعمه توراتهم عن لوط وابنتيه ، إذ تذكر أنه لم ينج من أهل قريتى سدوم وعمورة اللتين دمرهما الله بنار وكبريت — لما كان يرتكبه أهلهما من الشذوذ الجنسى وإتيانهم الذكور — إلا لوط وابنتاه ، وقد أقام ثلاثتهم عقب ذلك فى غار فى جبل مرتفع. وحينئذ قالت كبراهما لصغراهما : « إن أبانا قد أصبح شيخاً كبيراً ، وليس فى هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذى يفعله ذكور الناس مع إناثهم ، وإذا بقى الأمر على هذه الحال فسينقرض نسل أبينا بعد وفاته ووفاتنا ، وخير وسيلة لاتقاء هذه العاقبة هى أن نسقى أبانا خمراً حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فنأتى منه بذرية تخلد نسله ». وأنفذتا ما اتفقتا عليه ، وقضت معه الكبرى الليلة الأولى والصغرى الليلة التالية ، وواقع لوط كلتيهما ، وهو

---

(١) تكوين ٢٠ : ١٤ .

(٢) تكوين ١٢ : ١٥ — ١٦ .

(٣) تكوين ٢٦ : ٧ — ١١ .

فى نشوة سكره فحملتا منه ، وجاءت الكبرى بغلام أسمته موآب ، وجاءت الصغرى بغلام أسمته عمّون ، ومن هذين الغلامين تفرع شعبان كبيران هما شعب الموآبيين وشعب العمونيين : « وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسق أبانا خمرا ونضطجع معه ، فنحيي من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى . نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى اضطجعى معه . فنحيي من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغرى واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم . والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بَنْ عمّى ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم »(١) .

هذان الشعبان الموآبى والعمونى قد دخلا فى جماعة الرب حسب تسلسل الأنسال للمسيح : « وأخذ بوعز راعوث الموآبية امرأة »(٢) ، ودخل عليها فأعطاها الرب حبلا فولدت ابنا ودعته عوبيد هو أبو يسّى أبى داود . وهذا مناقض لما جاء بالشريعة : « لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب ... » (٣).

وإذا تأملنا بكل تدقيق فى سلسلة أنساب سيدنا عيسى عليه السلام حسب ما جاء بإنجيل متى : « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن

(١) تكوين ١٩ : ٣٠ — ٣٨ .
(٢) راعوث ٤ : ١٣ .
(٣) تثنية ٢٣ : ٢ .

إبراهيم . إبراهيم ولد إسحق ، وإسحق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته . ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار »(١) . نلاحظ أن ثامار هذه قد زنا بها يهوذا بن يعقوب بن إبراهيم : « فأخبرت ثامار وقيل لها : هوذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست فى مدخل عينايم التى على طريق تمنة . لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهى لم تعط له زوجة ، فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها . فمال إليها على الطريق وقال : هاتى أدخل عليك ».(٢) وحان موعد ولادتها لحمل قد حملته من يهوذا فاستشاط يهوذا غضبا وأمر بحرقها وهو لا يعلم أنه قد زنى بها : « ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا . وقيل له قد زنت ثامار كنتك وها هى حبلى أيضاً من الزنا . فقال يهوذا أخرجوها فتحرق . أما هى فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذى هذه له أنا حبلى ؟ وقالت : حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه . فتحققها يهوذا وقال : هى أبر منى لأنى لم أعطها لشيلة ابنى »(٣) .

وفى إنجيل متى جاء أيضاً فى سلسلة أنساب المسيح عليه السلام : « ويسّى ولد داود الملك . وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا »(٤) ، فمن هى أوريا ؟

لقد جاء فى سفر صموئيل الثانى قصة غريبة عن سيدنا داود إذ يذكر أنه كان يمشى فى مساء يوم على سطح قصره الملكى فوقع بصره فى المنزل المجاور له على امرأة مفرطة الجمال وهى تستحم متجردة من جميع ثيابها ، فشغف بها حبا ، وسأل عنها ، فأخبر أنها زوجة أوريا الحثى أحد جنوده المحاربين المشتركين فى حملة حربية بقيادة يؤاب ، فبعث داود فى طلبها فجىء

---

(١) متى ١ : ١ — ٣ .
(٢) تكوين ٣٨ : ١٣ — ١٦ .
(٣) تكوين ٣٨ : ٢٤ — ٢٦ .
(٤) متى ١ : ٦ .

بها إليه . وبعد أن قضى منها وطره عادت إلى منزلها وقد حملت منه فعملت على أن يقف داود على خبر حملها منه : « وكان فى وقت المساء أن داود قام. وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم · وكانت المرأة جميلة المنظر جداً . . فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه واضطجع معها وهى مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى » (١) .

فاستدعى داود زوجها من الجيش وأخذ يسأله عن حالة الحملة وقائدها وأعمالها ، ونفحه ببعض الهدايا ، وطلب إليه أن يذهب إلى منزله ليستريح هذه الليلة . وكان داود يرمى من وراء ذلك أن يقرب الرجل زوجته ، فينسب حملها إليه ، ولا تعلق بداود أية شبهة .

ولكن الرجل أبت عليه شهامته ووطنيته أن ينعم بالراحة واللذة فى بيته بينما جيش بلاده مشتبك فى معركة مع الأعداء . فلم يذهب إلى بيته وإنما قضى ليلته نائماً مع خدم القصر الملكى. ولما علم داود بذلك استدعاه مرة ثانية وسأله عن سبب إحجامه عن الذهاب لبيته ، فأجابه بأن نفسه لم تطاوعه بأن ينام فى بيته وجيشه يحارب فى خارج بلاده ، فطلب إليه أن يبقى يوما آخر ، ودعاه إلى الطعام والشراب ، وحرص على أن يسكره حتى يفقد وعيه ويذهب إلى زوجته . ولكن أوريا لم يفقد رشده ، فقضى ليلته كالسابقة نائماً مع خدم داود فى القصر الملكى · ولما ضاق داود به ذرعا ، ولم تفلح معه حيلته ، أمر برجوعه إلى الجبهة ، وأرسل إلى يؤاب قائد جيشه أن يضع أوريا فى أخطر منطقة فى ميدان القتال وأن يتخلى عنه حتى يقتل . فصدع يؤاب بالأمر ، وقتل أوريا فى الميدان :

« فأرسل داود إلى يؤاب يقول أرسل إلىّ أوريا الحثىّ .. وقال داود

---

(١) صموئيل الثانى ١١ : ٢ — ٥ .

لأوريا : انزل إلى بيتك واغسل رجليك . فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك . ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته . . . وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يؤاب وأرسله بيد أوريا . وكتب فى المكتوب يقول : اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت »(١) .

وحينئذ أتيح لداود أن يضم بتشبع زوجة أوريا الحثى إلى نسائه بعد أن انقضى حدادها على زوجها ووضعت حملها وهى فى عصمة داود وخفى بذلك على جميع الناس ما ارتكبه داود من جرائم خسيسة إذ زنى بامرأة متزوجة وعمل على قتل زوجها الشجاع وهو يذود عن حياض بلاده : « فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها . ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً . وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب »(٢) .

والقصة كما وردت فى التوراة وعلى هذا الوضع محض افتراء ولا يتصور صدور وقائعها من رجل عادى ذى خلق فضلا عن نبي كريم بالإضافة إلى تناقض وقائعها مع روح الشريعة المقدسة القائلة : « لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب . حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب . لا يدخل عمونى ولا موآبى فى جماعة الرب . حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد فى جماعة الرب إلى الأبد »(٣) .

ولقد شهد الإنجيل بسمو أخلاق داود بالقول ، وقال الله قد « وجدت داود بن يسَّى رجلا حسب قلبي الذى سيصنع كل مشيئتى »(٤) .

---

(١) صموئيل الثانى ١١ : ٦ — ١٥ .
(٢) صموئيل الثانى ١١ : ٢٦ — ٢٧ .
(٣) تثنية ٢٣ : ٢ — ٣ .
(٤) أعمال الرسل ١٣ : ٢٢ .

تقرير الإنجيل عن بنى إسرائيل

ويقرر سفر الأعمال هذه الوقائع بالقول : « هذا موسى الذى أنكروه قائلين : من أقامك رئيسا وقاضيا . هذا أرسله الله رئيساً وفاديا بيد الملاك الذى ظهر له فى العليقة . هذا أخرجهم صانعا عجائب وآيات فى أرض مصر وفى البحر الأحمر وفى البرية أربعين سنة .

« هذا هو موسى الذى قال لبنى إسرائيل : نبياً (١) مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون . هذا هو الذى كان فى الكنيسة فى البرية مع الملاك الذى كان يكلمه فى جبل سيناء ومع آبائنا . الذى قبل أقوالا حية ليعطينا إياها . الذى لم يشأ آباؤنا أن يكونوا طائعين له بل دفعوه ورجعوا بقلوبهم إلى مصر ، قائلين لهارون : اعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا ، لأن هذا موسى الذى أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فعملوا عجلا فى تلك الأيام وأصعدوا ذبيحة للصنم وفرحوا بأعمال أيديهم . فرجع الله وأسلمهم ليعبدوا جند السماء كما هو مكتوب فى كتاب الأنبياء . هل قربتم لى ذبائح وقرابين أربعين سنة فى البرية يا بيت إسرائيل ؟ بل حملتم خيمة مولوك ، ونجم إلهكم رمفان التماثيل التى صنعتموها لتسجدوا لها . فأنقلكم إلى ما وراء بابل »(٢) .

وعن بنى إسرائيل يقرر المسيح بقوله : «لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم . لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى »(٣) .

---

(١) راجع كتابى محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن .
(٢) أعمال الرسل ٧ : ٣٥ — ٤٣ .
(٣) إنجيل يوحنا ٥ : ٤٥ — ٤٧ .

بل لقد أورد سفر الخروج ، وهو أحد أسفار توراتهم المزعومة قصة عبادة بنى إسرائيل للعجل الذهبي فى صورة غريبة تدل على أن محررى هذه الأسفار لا يرعون لأنبيائهم حرمة ، ولا يرجون لهم وقارا ، ولا يتورعون عن أن ينسبوا إليهم أية نقيصة ، حتى خيانة الرسالة نفسها التى بعثوا من أجلها ، ودفع قومهم إلى الشرك بالله . فقد نسب هذا السفر إلى هارون نفسه عليه السلام أنه قد يسر لبنى إسرائيل سبيل الشرك ، ودفعهم إلى الوثنية ، وعبادة الحيوان والأصنام ، فصنع لهم بيديه فى سيناء عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله : « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون : انزعو أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه . ونادى هارون وقال : غداً عيد الرب . فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب »(١) .

بل ذهبوا فى نجاسة أفكارهم إلى أنهم نسبوا إلى سليمان الشرك بالله استجابة وإرضاء لنزوات نسائه : « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : موآبيات وعمونيات ، وآدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلثمائة من السرارى

---

(١) خروج ٣٢ : ١ — ٦ .

(٧٠٠ + ٣٠٠ = ١٠٠٠) فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بنى عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن»(١) .

نماذج من التلمود

« لم يكتف اليهود بما جاء فى توراتهم من اتهامات لأنبياء الله ومن تعاليم خبيثة تبيح الغدر والمكر وسفك الدماء . فأخذ الربيون والحاخامات يفسرون التوراة حسب أهوائهم وبالشكل الذى يرضى غرائزهم الشريرة ، ونزوعهم إلى عمل المنكرات واستعلاءهم على بقية أجناس البشر . وأول من جمع تلك التفسيرات فى كتاب أسماه « المشنا » هو الحاخام يوخاس حوالى سنة ١٥٠ م ومشنا معناها الشريعة الشفوية المكررة ، وقد زيد فى القرون التالية على كتاب المشنا الأصلى شروحات أخرى صار تأليفها فى فلسطين وبابل ، ثم علق علماء اليهود على المشنا حواشى كثيرة وشروحات مسهبة دعوها باسم « جامارة » . فالمشنا المشروحة على هذه الصورة مع الجامارة كونت التلمود ومعناها كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم. وهذه الشروحات مأخوذة عن مصدرين أحدهما المسمى بتلمود أورشليم وقد كان موجوداً فى فلسطين سنة ٢٣٠ م وثانيهما تلمود بابل وكان موجوداً فيها سنة ٥٠٠ م(٢) » .

---

(١) ملوك أول ١١ : ١ ــ ٨ .

(٢) نقلا من كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ــ ترجمه إلى العربية الدكتور يوسف نصرالله ــ إصدار مطبعة المعارف سنة ١٨٩٩ .

ويوجد فى نسخ كثيرة من التلمود الذى طبع فى القرن التاسع عشر مواضع تركت خالية من الكتابة بعد أن حذف منها ألفاظ السب والطعن فى المسيح والعذراء ، بيد أن جميع طبعات التلمود لم تخل من سب المسيحيين الذين أطلق عليهم اسم « جنتيل » Gentile أو الأميين أو الوثنيين ، وصدرت من التلمود طبعات كثيرة أهمها طبعة أمستردام سنة ١٦٤٤ ، وطبعة فارسوفيا سنة ١٨٦٣ وبراج سنة ١٨٣٩ م .

ويقدس اليهود التلمود ويعتبرونه أهم من التوراة ، ويرون أن من يحتقر أقوال الحاخامات يستحق الموت ، وأنه لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط ، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء فى شريعة موسى .

وقال أحدهم : « اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء » . كما قال أحد علمائهم : « إن مخافة الحاخامات هى مخافة الله » ، وقال ثالث : « إن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجامارة فليس له إله » . وجاء فى التلمود صفحة ٧٤ : « إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله » . وقد وقع الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود فى أمر من الأمور وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ الإله مما اضطر معه سبحانه وتعالى إلى الاعتراف بخطئه .. !

ولعل قصة محاجة إبراهيم لله بشأن تدمير سدوم وعمورة هى الإلهام الذى استمد منه الحاخامات اغترارهم بأنفسهم وتعاليهم على الله : « فتقدم إبراهيم وقال : أفتهلك البار مع الأثيم ؟ »(١) ، « فقال : لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط عسى أن يوجد هناك عشرة ، فقال : لا أهلك من أجل العشرة(٢) » ، بل لعل قصة إسرائيل أكدت الانتصار الإنسانى على الله :

(١) تكوين ١٨ : ٢٣ .
(٢) تكوين ١٨ : ٣٢ .

« فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر ، فقال : لا أطلقك إن لم تباركنى . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت »(١) .

فما هى تعاليم أولئك الحاخامات والربيين التى يدين بها اليهود ويقدسونها ؟ !

تعاليم التلمود(٢) :

ا — النهار اثنتا عشرة ساعة : فى الثلاث الأولى يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفى الثلاث الثانية يحكم ، وفى الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفى الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك .

— اعترف الله بأخطائه فى تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكى ويزأر قائلا : تبًا لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى .

ويندم الله على تركه اليهود فى حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكى كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه وتضطرب المياه وترتجف الأرض فى أغلب الأحيان فتحصل الزلازل .

— ليس الله معصوما عن الطيش والغضب والكذب .

ب — بعض الشياطين من نسل آدم ، وكان آدم يأتى شيطانة مهمة اسمها « ليليت » مدة ١٣٠ سنة فولد منها شياطين ، وكانت حواء لا تلد فى هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين ، ويستطيع الإنسان فى بعض الأحوال أن يقتل الشياطين إذا أجاد صنع فطير عيد الفصح .

(١) تكوين ٣٢ : ٢٤ — ٢٨ .

(٢) الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج .

ج — تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده ، وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات .

— إن نطفة غير اليهودى هى كنطفة باقى الحيوانات .

«وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التى فيها زنت بأرض مصر ، وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمنى الخيل ، وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدى صباك »(١) .

ومن هذا السند تتضح مزاعمهم بأن نطفة غير اليهودى هى كنطفة باقى الحيوانات فى ترتيبها السفلى .

د — النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود ، أما الجحيم فمأوى الكفار من المسيحيين والمسلمين ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين .

— لا يأتى المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار الخارجين على دين بنى إسرائيل . وحينما يأتى المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف وقمحا حبه بقدر كلاوى الثيران الكبيرة . وفى ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له . وفى ذلك الوقت يكون لكل يهودى ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه .

هـ — يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم . وإذا تسلط غير اليهود على أوطان اليهود حق لهؤلاء أن يندبوا ويقولوا : ياللعار وياللخراب !! وقبل أن تحكم

(١) حزقيال ٢٣ : ١٩ — ٢١ .

اليهود نهائياً على باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم .

وهم فى انتظار المسيح الثانى يعلمون أنه سيجىء وتسبقه علامات منها ما ذكره القديس بطرس فى رسالته : « فبما أن هذه كلها تنحل أى أناس يجب أن تكونوا فى سيرة مقدسة وتقوى منتظرين وطالبين سرعة مجىء يوم الرب الذى به تنحل السماوات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضا جديدة يسكن فيها البر » (١) .

ويبقى اليهود مدة سبع سنوات يحرقون الاسلحة التى غنموها بعد النصر . وحينئذ تنبت أسنان أعداء بنى إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعا خارجا عن أفواههم .

وتعيش اليهود فى حرب عوان مع باقى الشعوب منتظرين ذلك اليوم ، وسيأتى المسيح الحقيق ويحصل النصر المنتظر وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك فى غاية الإثراء لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم . وتحفظ هذه الكنوز فى سرايات واسعة لا يمكن حمل مفاتيحها على الأقل من ثلثمائة حمار .

و — قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها ، وإن العهد مع المسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودى به . وإن الواجب الدينى أن يلعن اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بنى إسرائيل .

وإن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين الزفت والقطران

(١) رسالة بطرس الثانية ٣ : ١١ — ١٣ .

والنار ، وإن أمه مريم أتت به من العسكرى باندارا بمباشرة الزنا ، وإن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة.

ز ـ الإسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة . فإذا ضرب أممى إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت . ولو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس . والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب . والنطفة المخلوق منها باقى الشعوب هى نطفة حصان .

ـ الأجانب كالكلاب والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب ولا للكلاب . والكلب أفضل من الأجنبى لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبى أو أن يعطيه لحما بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منه .

ـ لا قرابة بين الأمم الخارجة عن دين اليهود لأنهم أشبه بالحمير . ويعتبر اليهود بيوت باقى الأمم زرائب للحيوانات .

ـ الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة . وخلق الله الأجنبى على هيئة إنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم .

ـ يسوع المسيح ارتد عن دين اليهود وعبد الأوثان . وكل مسيحى لم يتهود فهو وثنى عدو لله ولليهود .

ـ ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم . يحق لليهودى أن يغش الكفار . ومحظور عليه أن يحيى الكافر بالسلام مالم يخش ضرره أو عداوته ، والنفاق جائز فى هذه الحالة ولا بأس من ادعاء محبة الكافر إذا خاف اليهودى من أذاه .

مصرح لليهودى أن يوجه السلام إلى الكافر على شرط أن يستهزىء به سراً .

ح — بما أن اليهود يساوون أنفسهم مع العزة الإلهية فالدنيا ومافيها ملك لهم ، ويحق لهم التسلط على كل شىء فيها . والسرقة غير جائزة من اليهودى ومسموح بها إذا كانت من مال غير اليهودى . والسرقة من غير اليهودى لا تعتبر سرقة بل استرداداً لمال اليهودى الذى يبيحه الدين اليهودى ويحلل سرقته ، وأموال غير اليهود مباحة عند اليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر التى يمتلكها من يضع يده عليها أولا . ومثل بنى إسرائيل كسيدة فى منزلها يحضر لها زوجها النقود فتأخذها بدون أن تشترك معه فى الشغل والتعب .

والسرقة وإن كانت محرمة حسب الوصية الثامنة «لاتسرق»(١) إلا أنهم استلهموا ابتزاز مال الأجنبي من قصة يعقوب مع خاله لابان : « فأخذ يعقوب لنفسه قضبانا خضراً من لبنى ولوز ودلب وقشر فيها خطوطا بيضا كاشطا عن البياض الذى على القضبان . وأوقف القضبان التى قشرها فى الأجران فى مساقى الماء حيث كانت الغنم تجىء لتشرب تجاه الغنم لتتوحم عند مجيئها لتشرب .

« فتوحمت الغنم عند القضبان وولدت الغنم مخططات ورقطا وبلقا وأفرز يعقوب الخرفان وجعل وجوه الغنم إلى المخطط وكل أسود بين غنم لابان . وجعل له قطعاناً وحده ولم يجعلها مع غنم لابان .

« وحدث كلما توحمت الغنم القوية أن يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم فى الأجران لتتوحم بين القضبان . وحين استضعفت الغنم لم

---

(١) خروج ٢٠ : ١٥ .

يضعها ، فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب فاتسع الرجل كثيراً جداً ، وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير » (١) .

ويؤكد لابان حقه المسلوب لصهره يعقوب : « فأجاب لابان وقال ليعقوب : البنات بناتى والبنون بنىّ والغنم غنمى وكل ما أنت ترى فهو لى ... ماذا فعلت وقد خدعت قلبي وسقت بناتى كسبايا السيف » (٢) .

ويقرر إسحق عليه السلام ما انطوى عليه يعقوب من طبيعة المكر والدهاء بقوله : « قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ، فقال : ألا إن اسمه دعى يعقوب ، فقد تعقبنى الآن مرتين : أخذ بكوريتى وهوذا الآن قد أخذ بركتى » (٣) .

هذه مزاعم التوراة حول نبى من أنبياء الله ، بل أكثر من هذا حول علم انطوى تحت لوائه كل يهودى يتفاخر بأنه إسرائيلى نسبة إلى هذا الرجل الذى نسبوا إليه المكر والخداع .

ويستطرد التلمود :

ط ـ إذا جاء الأجنبي والإسرائيلى أمامك بدعوى فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلى رابحا فافعل ، واستعمل الغش والخداع فى حق الأجنبي حتى تجعل الحق لليهودى .

ـ مصرح لك أن تغش مأمور الجمرك غيراليهودى وأن تحلف له أيمانا كاذبة وتعلم من الحاخام صموئيل الذى اشترى من أجنبي آنية من الذهب ظنها الأجنبي نحاسا ودفع الحاخام ثمنها أربعة دراهم فقط ثم سرق منها درهما.

---

(١) تكوين ٣٠ : ٣٧ ـ ٤٣ .
(٢) تكوين ٣١ : ٤٣ ، ٢٦ .
(٣) تكوين ٢٧ : ٣٥ ـ ٣٦ .

— مسموح بغش الأجنبي وسرقة ماله بواسطة الربا الفاحش .

— يأمر الله بأخذ الربا من غير اليهودى وألا تقرضه إلا تحت هذا الشرط ، أى بالربا ، وبدون ذلك نكون قد ساعدناه على أنه من الواجب علينا ضرره .

— حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله ؟ !

— إذا احتاج غير اليهودى بعض النقود فعلى اليهودى أن يستعمل معه الربا المرة بعد الأخرى حتى يعجز عن سداد ما عليه إلا بتنازله عن جميع أمواله .

ولعل ما جاء بسفر الخروج وما تزعمه التوراة من أنها تأمر بنى إسرائيل بسلب المصريين إلهاما لهم للإضرار بالغير فى معاشهم :

« وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين . فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبون المصريين » (١) .

ويستطرد التلمود :

ى — اقتل الصالح من غير اليهود ، ومحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من الأجانب من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها ، بل عليه أن يسدها بحجر .

— من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانا إلى الله .

---

(١) خروج ٣ : ٢١ — ٢٢ .

وجاء فى سفر الخروج حادث قتل موسى للمصرى واتخذ منه الأحبار إلهاما لتصوراتهم وما تزعمه التوراة على هذا النحو : « وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر فى أثقالهم . فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته . فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصرى وطمره فى الرمل »(١).

وما تزعمه التوراة فى الانتقام من شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض : « وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها . وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة . فكلم شكيم حمور أباه قائلا : خذ لى هذه الصبية زوجة . وسمع يعقوب أنه نجس دينة ابنته . وأما بنوه فكانوا مع مواشيه فى الحقل فسكت يعقوب حتى جاءوا فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليتكلم معه . وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا ، وغضب الرجال واغتاظوا جداً لأنه صنع قباحة فى إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب ... فحدث أن ابنى يعقوب شمعون ولاوى أخوى دينة أخذا كل واحد سيفه وأتى على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر . وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف . وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة ، لأنهم نجسوا أختهم ، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل أخذوه وسلبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما فى البيوت »(٢) .

---

(١) خروج ١ : ١١ — ١٢ .

(٢) تكوين ٣٤ : ١ — ٧ و ٢٥ — ٢٩ .

ويستطرد التلمود :

— الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثنى . فإذا رأيته واقعاً فى نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أن تنقذه لأن السبعة الشعوب الذين كانوا فى أرض كنعان المراد قتلهم من اليهود لم يقتلوا عن آخرهم بل هرب بعضهم واختلط بباقى الأمم . ولذلك يجب قتل الأجنبى لأنه من المحتمل أن يكون من نسل هؤلاء السبعة الشعوب . وعلى اليهودى أن يقتل من يتمكن من قتله فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع .

وما هى تلك الشريعة التى يستندون إليها ؟ إنهم يزعمون بأن الله لا بد أن يبيد شعب كنعان بقبائله وشعب حام عن بكرة أبيه ، إذ سبق فوعد إبراهيم بميراثه لأرضهم : « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ، القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين »(١) .

ويوصى موسى بأن يخاطب شعب إسرائيل : « كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان ، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تمتلكوها »(٢) .

ويؤكد يشوع لبنى إسرائيل أن الحرب للرب : « ثم قال لهم يشوع : بهذا تعلمون أن الله الحى فى وسطكم وطرداً يطرد من أمامكم الكنعانيين والحثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين . هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابر أمامكم فى الأردن »(٣) .

---

(١) تكوين ١٥ : ١٨ — ٢١ .
(٢) عدد ٣٣ : ٥٠ — ٥٣ .
(٣) يشوع ٣ : ٩ — ١١ .

ويستطرد التلمود :

ـ قتل النصارى من الأفعال التى يكافىء الله عليها ، وإذا لم يتمكن اليهودى من قتلهم فواجب عليه أن يتسبب فى هلاكهم فى أى وقت وعلى أى وجه .

ـ الذى يرتد عن الدين اليهودى يعامل كالأجنبي ويقتل إلا إذا فعل ذلك لأجل أن يغش غير اليهود ويوهمهم أنه أصبح على دينهم .

واتخذ بنو إسرائيل من إقامتهم فى شطيم وسيلة لإشاعة الانحلال : « وأقام إسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فغور » (١) .

« فسكن بنو إسرائيل فى وسط الكنعانيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم »(٢) .

وجعل بنو إسرائيل من هذ الاختلاط أساساً لشريعة انحلال أخلاقى ، حيث قال التلمود :

ك ـ اليهودى لا يخطىء إذا اعتدى على عرض الأجنبية لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة والعقد لا يوجد بين البهائم .

ـ لليهود الحق فى اغتصاب النساء غير المؤمنات أى غير اليهوديات .

---

(١) عدد ٢٥ : ١ ـ ٣ .

(٢) قضاة ٣ : ٥ ـ ٦ .

— إن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أم إناثا لاعقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات .

ونسوا أن الله فى حكمته قد أسكنهم بين الأمم : « فهؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم إسرائيل كل الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان ، إنما لمعرفة أجيال بنى إسرائيل لتعليمهم الحرب الذين لم يعرفوها قبل فقط ، أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة ، كانوا لامتحان إسرائيل بهم لكى يعلم هل يسمعون وصايا الرب التى أوصى بها آباءهم عن يد موسى » (١) .

ويسترسل التلمود فيقول :

— من رأى أنه يجامع والدته فسيؤتى الحكمة ، ومن رأى أنه يجامع أخته فمن نصيبه نور العقل.

ويستمدون سنداً لهذا : « وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل(٢) » ، « ثم قال امنون لثامار : إيتى بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك ، فأخذت ثامار الكعك الذى عملته وأتت به امنون أخاها إلى المخدع وقدمت له ليأكل ، فأمسكها وقال لها : تعالى اضطجعى معى يا أختى ، فقالت له : لا يا أخى لاتذلنى لأنه لايفعل هكذا فى إسرائيل . لاتعمل هذه القباحة ، أما أنا فأين أذهب بعارى ؟ وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء فى إسرائيل . والآن كلم الملك لأنه لايمنعنى منك ، فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها » (٣) .

---

(١) قضاة ٣ : ١ — ٤ .
(٢) تكوين ٣٥ : ٢١ .
(٣) صموئيل الثانى ١٣ : ١٠ — ١٤ .

ويستطرد التلمود فيقول :

— مصرح لليهودى أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه مقاومتها .

— ليس للمرأة اليهودية أن تبدى أية شكوى إذا زنى زوجها بأجنبية فى المسكن المقيم فيه مع زوجته .

— اللواط بالزوجة جائز لليهودى ، لأن الزوجة بالنسبة للاستمتاع بها كقطعة لحم اشتراها من الجزار ويمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية حسب رغبته .

وهم يستبيحون إتيان الذكور استناداً إلى ما جاء فى سفر القضاة : « فقال الرجل الشيخ : السلام لك ، إنما كل احتياجك على ولكن لا تبت فى الساحة وجاء به إلى بيته وعلف حميرهم فغسلوا أرجلهم وأكلوا وشربوا . وفيما هم يطيبون قلوبهم إذا برجال المدينة رجال بنى بليعال أحاطوا بالبيت قارعين الباب وكلموا الرجل صاحب البيت الشيخ قائلين : أخرج الرجل الذى دخل بيتك فنعرفه . فخرج إليهم الرجل صاحب البيت وقال لهم : لا يا إخوتى لا تفعلوا شراً . بعد ما دخل هذا الرجل بيتى لا تفعلوا هذه القباحة ، هوذا ابنتى العذراء وسريته دعونى أخرجهما فأذلوهما وافعلوا بهما ما يحسن فى أعينكم وأما هذا الرجل فلا تعملوا به هذا الأمر القبيح . فلم يرد الرجال أن يسمعوا له (١) » .

ويستطرد التلمود فيقول :

ل — يجوز لليهودى أن يحلف يميناً كاذبة وخاصة فى معاملته مع باقى الشعوب .

---

(١) قضاة ١٩ : ٢٠ — ٢٥ .

وهذا القول مناقض للوصية الثالثة : « لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا(١) » ، ومناقض لأحكام الشريعة التى أوصى بها موسى : « وإذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه ، كالوطنى منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر ، أنا الرب إلهكم ، لا ترتكبوا جوراً فى القضاء لا فى القياس ولا فى الوزن ولا فى الكيل . ميزان حق ووزنات حق وإيفة حق وهين حق تكون لكم ، أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر فتحفظون كل فرائضى وكل أحكامى وتعملونها أنا الرب »(٢) .

وينذر الله العصاة على لسان موسى : « لكن إن لم تسمعوا لى ولم تعملوا كل هذه الوصايا ، إن رفضتم فرائضى وكرهت أنفسكم أحكامى فما عملتم كل وصاياى بل نكثتم ميثاقى ، فإنى أعمل هذه بكم : أسلط عليكم رعبا وسلا وحمى تضنى العينين وتتلف النفس . وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم . وأجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم وتهربون وليس من يطردكم(٣) » .

ويستطرد التلمود فيقول :

— واليمين جعلت لحسم النزاع بين الناس ، أما لغير اليهود من الحيوانات فلا اعتبار لها .

ويجوز لليهودى أن يشهد زورا وأن يقسم بحسب ما تقتضيه مصلحته عند اللزوم ويؤوّل ذلك فى سره .

(١) خروج ٢٠ : ٧ .
(٢) اللاويون ١٩ : ٣٣ — ٣٧ .
(٣) اللاويون ٢٦ : ١٤ — ١٧ .

وهذا يتناقض تناقضا بينا مع الوصية التاسعة : « لا تشهد على قريبك شهادة زور »(١) ، وأيضاً مع الوصية العاشرة : « لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك »(٢) .

سأل ناموسى المسيح عليه السلام قائلا : « ومن هو قريبي ؟ » ، فأجابه بمثل قائلا : « إنسان كان نازلا من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت ، فعرض أن كاهنا نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابله ، وكذلك لاوى أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما رآه تحنن فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتا وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق واعتنى به . . . . . فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص ؟ فقال : الذى صنع معه الرحمة »(٣) . ولم يشأ أن يقول الإنسان السامرى لما بين السامريين واليهود من عداوة أصيلة فى الدم .

ويسترسل التلمود فيقول :

م — على اليهودى أن يؤدى عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما .

— يجب على كل يهودى أن يلعن النصارى كل يوم ثلاث مرات ويطلب من الله أن يبيدهم ويفنى ملوكهم وحكامهم .

— على اليهود أن يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة غير عاقلة .

---

(١) خروج ٢٠ : ١٦ .
(٢) خروج ٢٠ : ١٧ .
(٣) إنجيل لوقا ١٠ : ٢٩ — ٣٧ .

— كنائس المسيحيين كبيوت الضالين ومعابد الأصنام فيجب على اليهود تخريبها .

ن — نحن شعب الله فى الأرض وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا ، ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الإنسانى وهم كل الأمم والأجناس سخرهم لنا ، لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان : نوع أخرس كالدواب والأنعام والطير ، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب ، فسخرهم لنا ليكونوا فى خدمتنا ، وفرقنا فى الأرض لنمتطى ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج فنونهم لمنفعتنا . لذلك يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول وأعمالها ، فنفتنهم ونوقع بينهم وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضاً ، وفى ذلك كله نجنى الفائدة الكبرى .

وبهذا فإنهم أصحاب مدارس الجاسوسية فى الأرض ومدارس الفكر السفسطائى ، والتوراة والإنجيل يشهدان بذلك ، ففى عهد أحشويرش الملك الذى ملك من الهند إلى كوش والذى أراد له زوجة ليتوجها ملكة على الإمبراطورية الفارسية استغل اليهود الذين سباهم الملك نبوخذ نصر ملك بابل رغبة الملك أحشويرش فتقدموا إليه بأجمل بناتهم : « ولم تكن استير أخبرت عن جنسها وشعبها كما أوصاها مردخاى ، وكانت استير تعمل حسب قول مردخاى كما كانت فى تربيتها عنده » (١) . وكان لجمالها ما جعل الملك يعشقها ويفتتن بها : « فأحب الملك استير أكثر من جميع النساء ، ووجدت نعمة وإحسانا قدامه أكثر من جميع العذارى فوضع تاج الملك على رأسها

(١) استير ٢ : ١٠ .

وملكها مكان وشتى » (١) .

ولم تنس استير شعبها ومكانتها بين شعبها واستطاعت أن تستغل جمالها وافتتان الملك بها حتى استصدرت منه أمراً بإعدام أعداء اليهود إذ قالت للملك فى ساعة نشوته بها : « إننا قد بعنا أنا وشعبي للهلاك والقتل والإبادة ، ولو بعنا عبيداً وإماء لكنت سكت مع أن العدو لايعوض عن خسارة الملك » (٢) . ووضعت عدو شعبها فى كفة وشعبها ونفسها فى كفة ، وإنها بجمالها ورقتها قد سيطرت على عقل وقلب الملك فرأى لإرضائها أن يحمى شعبها ويذود عنهم حماية لها لا استمتاعاً بها .

وقال الملك أحشويرش لاستير الملكة ومردخاى اليهودى : « هو ذا قد أعطيت بيت هامان لاستير أما هو فقد صلبوه على الخشبة من أجل أنه مد يده إلى اليهود ، فاكتبا أنتما إلى اليهود مايحسن فى أعينكما باسم الملك واختماه بخاتم الملك لأن الكتابة التى تكتب باسم الملك وتختم بخاتمه لاترد » (٣) . وتمكن اليهود من أعدائهم ، تمكن الدخلاء من الوطنيين الشرعيين : « فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا » (٤) .

والباحث المدقق فى إنجيل برنابا يفطن مباشرة إلى أن بولس فى اعتناقه للمسيحية إنما كان يحقق هدفا من أهداف التلمود ، بل إن انقسام الكنيسة فى مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ إلى معسكرين (٥) متضادين : معسكر يتزعمه آريوس ، وهو منطق فى آرائه ومعتقداته ، وآخر يتزعمه

---

(١) استير ٢ : ١٧ .

(٢) استير ٧ : ٤ .

(٣) استير ٧ : ٧ — ٨ .

(٤) استير ٩ : ٥ .

(٥) أوربا العصور الوسطى ، للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .

اثناسيوس وهو الذى نادى بألوهية المسيح . . هذا الانقسام نفسه يعتبر أحد الأهداف التى هدف إليها اليهود وعملوا لها . . . والدراسة الواعية للعهد الجديد تجعلنا نستشف تلك الآراء والاتجاهات التى نادى بها بولس ، وتحملنا على محاولة تفهم شخصيته من خلال تعاليمه .

وقد كان بولس يدعى شاول قبل اعتناقه المسيحية ، وقد لقى المسيحيون على يديه كثيراً من الاضطهاد والتعذيب :

« وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ماعدا الرسل . وحمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة ، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا و نساء ويسلمهم إلى السجن » (١). بل أكثر من هذا « كان شاول راضياً بقتل استفانوس »(٢) ، « أماشاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة ، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم(٣) » . ويئس الكهنة وعميلهم شاول من إبادة المسيحيين لأنه « كانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب » (٤) ، فلم يجد شاول سبيلا للوصول إلى أغراضه متعاونا مع الكهنة إلا أن ينضم إلى جماعة التلاميذ وخشيه التلاميذ : « ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ »(٥) ، إذ عقدت الدهشة ألسنتهم حتى قالوا : « أليس هذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون باسم المسيح ،

(١) أعمال الرسل ٨ : ١ ــ ٣ .
(٢) أعمال الرسل ٨ : ١ .
(٣) أعمال الرسل ٩ : ١ — ٢ .
(٤) أعمال الرسل ١١ : ٢١ .
(٥) أعمال الرسل ٩ : ٢٦ .

وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة ؟ ! » (١).

وقد سانده برنابا أحد الرسل فأخذه وأحضره إلى الرسل « وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع فكان معهم يدخل ويخرج ويجاهر باسم الرب يسوع »(٢) . إلا أن شاول لم يحسن إلى ولى نعمته فحدثت بينهما منازعة : « ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع وتفتقد إخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم. فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذى يدعى مرقس . وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرس »(٣). وكان لبولس سيطرة تامة على الموقف حتى أنه أغلق على برنابا نهائيا ، وقبره وقبر تعاليمه وكتاباته وساد بتعاليمه وكتاباته التى تكون فى حجمها ثلثى العهد الجديد .

وكان بولس يقدر على أن يتلون بأى لون ليحظى بالورقة الرابحة ، فلما مدوه للسياط ادعى أنه رومانى : « فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف : أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانا رومانياً غير مقضى عليه . فإذ سمع قائد المائة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلا : انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل ، لأن هذا الرجل رومانى . فجاء الأمير وقال له : قل لى : أنت رومانى؟ فقال: نعم . فأجاب الأمير : أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية . فقال بولس: أما أنا فقد ولدت فيها . وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه واختشى الأمير لما علم أنه رومانى ولأنه قد قيده » (٤).

---

(١) أعمال الرسل ٩ : ٢١ .

(٢) أعمال الرسل ٩ : ٢٧ — ٢٨ .

(٣) أعمال الرسل ١٥ : ٣٦ ـ ٣٩ .

(٤) أعمال الرسل ٢٢ : ٢٥ ـ ٢٩ .

ويصل به الدهاء أنه يتعدى أحكام الناموس القائلة : « لاتسب الله ولاتلعن رئيساً فى شعبك(١) » . إذ حينما أمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه قال له بولس: « سيضربك الله أيها الحائط المبيَّض . أفأنت جالس تحكم على حسب الناموس وأنت تأمر بضربى مخالفاً للناموس ؟! فقال الواقفون : أتشتم رئيس كهنة الله ؟ فقال بولس : لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة لأنه مكتوب رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً »(٢) .

وإذا تركنا الحادثة على علاتها وظننا بهيئة المحاكمة أنها تجملت بسياسة ضبط النفس نلاحظ أن بولس سرعان ما استأثر بالموقف لصالحه لما علم أن قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون : « صرخ فى المجمع أيها الرجال الإخوة أنا فريسى ابن فريسى . على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم . ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولاملاك ولا روح. وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك . فحدث صياح عظيم ونهض كتبة قسم الفريسيين وطفقوا يخاصمون قائلين : لسنا نجد شيئاً رديا فى هذا الإنسان وإن كان روح أو ملاك قد كلمه فلا نحارب الله »(٣) .

ومن مبادئه أنه جعل نفسه فى خدمة الجميع : « فصرت لليهودى كيهودى لأربح اليهودى ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس ، مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح ، لأربح الذين بلا ناموس »(٤) .

---

(١) خروج ٢٢ : ٢٨ .

(٢) أعمال الرسل ٢٣ : ٣ — ٥ .

(٣) أعمال الرسل ٢٣ : ٦ — ٩ .

(٤) الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٩ : ٢٠ — ٢١ .

ووضع الشريعة المسيحية لتحكم العلاقات الزوجية فقال : « المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حياً . ولكن إن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيى . وأظن أنى أنا أيضاً عندى روح الله » (١) . كما صرح بلقاء النقيضين فى ارتباط شرعى إذ احتج بقوله : « ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقى الرسل وإخوة الرب وصفا » (٢) . مع أنه يحث على الرهبنة واعتبر الزوجة هما يثقل كاهل الرجل فيقول : « فأريد أن تكونوا بلا هم . غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب . وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى امرأته » (٣) .

وهذا اللون من الخداع والنفاق لا يمكن كشفه إلا بعد أجيال حين تذهب الفورة وتستقر الأمور فى أوضاعها ، وهو ما لمسناه من خديعة عظماء العرب بإسلام المستشرق الإنكليزى لورنس .

وفى مذكرة رسمية من وثائق وزارة الخارجية البريطانية اقترح لورنس أن يصبح الشريف حسين ملكا على الحجاز ويخلفه ابنه على ، وأن يكون فيصل ملكا على سورية وزيد ملكا فى شمال العراق وعبد الله ملكا فى جنوب العراق ، ونص الاقتراح : « لا أمل فى قيام وحدة عربية ، لا فى الحاضر ولا فى المستقبل ، وإن التعامل مع العرب يجب أن يكون بواسطة الهاشميين وبواسطة أبناء الحسين بنوع خاص » .

أما رأيه فى الصهيونية ، فيبدو فى تصريح صحفى له فى نوفمبر ١٩١٩ : « إنى أؤيد الصهيونية وأعتبر دخول اليهود إلى الشرق الأوسط خميرة ضرورية جداً للدولة ، ولابد أنهم سوف يحولون فلسطين إلى دولة منظمة

---

(١) الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٧ : ٣٩ — ٤٠ .
(٢) ١ كو ٩ : ٥ .
(٣) ١ كو ٧ : ٣٢ — ٣٣ .

جداً كأنها دولة أوربية باستخدام مهارتهم ورأس مالهم . لابد أن يؤدى نجاح مشروعهم إلى رفع مستوى السكان العرب إلى المستوى المادى الذى يتمتع اليهود به . لابد أن تكون نتائج هذا العمل على درجة بالغة من الأهمية لمستقبل العمل العربى » .

أما حقيقة إسلام لورنس فتظهر بأجلى مظاهرها فى رأيه عن الدكتور وايزمان فى رسالته إلى مطران القدس الإنجليكانى فى سنة ١٩٢٢ ، إذ يقول عنه : « إنه رجل عظيم ، لا تستحق أنت ، ولا أستحق أنا ، أن نمسح حذاءه » .

إن المسيحية والإسلام قد يأتى عليهما زمان تخدعان فيه ، ولكن حين تفتضح الخديعة ، وتتكشف الحقيقة ، يصبح من الواجب العمل على تنقية ما أفسده المفسدون ووضع الأمور فى نصابها الصحيح .

الباب الثالث

البروتوكول الصهيوني

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » .

(التوبة : ١٤)

الفصل الأول

الطقوس اليهودية

ما إن استقر اليهود فى دول أوربا وازداد عددهم ونمت قوتهم بعد طردهم من فلسطين فى أول عهد المسيحية تحقيقا لنبوءة المسيح عليه السلام القائلة: «ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها. حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال. والذين فى وسطها فليفروا خارجا. والذين فى الكور فلا يدخلوها. لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب. وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب ويقعون بفم السيف ويُسبَوْن إلى جميع الأمم وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم»(١). وفى عهد الإمبراطور تيطس العاهل الرومانى تم تشتيت بنى إسرائيل فى أرجاء الإمبراطورية وتدمير الهيكل. وما إن انتشروا أذلاء فى الأرض حتى أخذوا يطبقون مازعموه من تعاليم التوراة والتلمود. وكانت حصيلة السلوك اليهودى المعبر عن الحقد والكراهية والاستعلاء والجشع والإجرام، أن أخذت شعوب أوربا تدافع عن نفسها أمام البلاء الذى كان يحل عليها مع كل موجة من موجات الهجرة اليهودية.

ولاعجب فبالرغم من أن جميع شعوب الأرض أعطت اليهود فرصة للعيش كسائر الناس فى البلاد التى يلجأون إليها، إلا أن اليهود لم يحسنوا الأمر، مما اضطر تلك الشعوب أن تفتك بهؤلاء اليهود بعد أن تبين لها الخطر الذى يرافق شعب اليهود ويهدد سكان البلاد الأصليين بالدمار الأخلاقى والاقتصادى والاجتماعى والسياسى.

وكانت الفترة من القرن الحادى عشر إلى التاسع عشر هى فترة الانتفاضة

---

(١) لوقا ٢١ : ٢٠ — ٢٤.

الكبرى فى تاريخ البشرية ، تنبهت بها شعوب العالم الغربى إلى خطر اليهود ، وفيها أدركت شعوب أوربا أن اليهود يزورون سيرة المسيح وديانته ويحاربونها ويهدفون إلى القضاء عليها ، وفيها أدركت تلك الشعوب أن الشعب اليهودى لا يمكن أن يعيش مع أى شعب آخر فى الوجود إلا على أساس استعباد ذلك الشعب وتسخير عقول أبنائه وأرواحهم ودمائهم وأموالهم فى خدمة اليهود ، وأدركت كذلك أن ألاعيب اليهود وخططهم الدنيئة تسيطر بيسر على أرواح القادة والزعماء وأقلامهم وآرائهم وتسيرها حسب أغراض اليهود .

وأدركت أن اليهود يسعون إلى القضاء على « الله » واستبدال « يهوه » إله اليهود ورب الجنود به . فإن موسى إذ أراد أن يقنع بنى إسرائيل بأنه رسول الله ناجى ربه قائلا : « ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم . فإذا قالوا لى : ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى : أَهْيَه الذى أَهْيَه ، وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم . وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل : يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور »(١) . فإذا تتبعنا هذا الاسم « يهوه » نجد أن إبراهيم حين أطاع الله وامتثل للأمر بتقديم ابنه وحيده ذبيحة على جبل المريا افتدى الله الابن بكبش « فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يِرْأه . حتى إنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى »(٢) . فأطلق إبراهيم على هذا المكان « يهوه يِرْأه » التى أصبحت رمزاً لله .

---

(١) تكوين ٢٢ : ١٣ — ١٤ .

(٢) خروج ٣ : ١٣ — ١٥ .

ولقد اتخذ اليهود من شريعة ذبائح الكفارة والإثم والفداء سبيلا لجرائمهم باستباحة الذبائح البشرية التى يتقرب بها اليهود إلى إلههم «يهوه»، ولعلهم يبررون موقفهم هذا بما فعله يفتاح الجلعادى أحد قضاة بنى إسرائيل الذى «نذر نذراً للرب قائلا: إن رفعت بنى عمون ليدى فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى عند رجوعى بالسلامة من عند بنى عمون يكون للرب وأصعده محرقة .. ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته، وإذا بابنته خارجة للقائه وهى وحيدة .. ففعل بها نذره الذى نذر وهى لم تعرف رجلا» (١).

وقد سرت هذه العادة المجرمة المتوحشة إلى اليهود زاعمين أن التوراة والتلمود قد أوضحا طقوساً تستند على شريعة موسى وأنبياء التوراة ويطلقون عليها اسم اكسوتاريك Eksoterik وطقوساً تعتمد على السحر والشعوذة وتسمى إسوتاريك Esoteric أى الطقوس المستترة . وهم يعترفون بهذه الأخيرة ويمارسونها أكثر من الأولى وهذه تدعو إلى المزيد من سفك الدماء . وكان السحرة من اليهود فى قديم الزمن يستخدمونها بسفك دم الإنسان من أجل إتمام طقوسهم وشعوذتهم ونددت التوراة بذلك إذ قال إشعياء : «أما أنتم فتقدموا إلى هنا يابنى الساحرة نسل الفاسق والزانية . بمن تسخرون ؟ وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان ؟ أما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء القاتلون الأولاد فى الأودية وتحت شقوق المعاقل» (٢).

ويجمل بى فى هذه المناسبة أن أورد نصوصا عن طقوس الذبائح والقرابين من التوراة ، فقد جاء فى سفر التكوين الإفصاح عن فداء

---

(١) قضاة ١١ : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٩ .

(٢) إشعياء ٥٧ : ٣ — ٥ .

الإنسان : « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له : يا إبراهيم ، فقال : هأنذا ، فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » (١). وشاءت عناية الله أن تفتدى الذبيح « فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراه ممسكا فى الغابة بقرنيه . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه . فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهوَه يرْأه حتى إنه يقال اليوم فى جبل الرب يُرَى » (٢) .

ومن هـذا الفداء رسم موسى عليه السلام شريعة الفصح . وكلمة « الفصح » عبرية ومعناها الاجتياز أو العبور ومعناها بالسريانية « السرور » ، وهى تشير إلى عبور الملاك المهلك عن بيوت الإسرائيليين دون أن يقتل أبكارهم ليلة خروجهم من مصر .

وتذكاراً لهذه الحادثة فرض على كل رئيس عائلة منهم أن يختار حملا ذكرا حوليا ، فى اليوم العاشر من شهر نيسان « إبريل » ويذبحه فى اليوم الرابع عشر منه . وبعد أن يرش دمه على جدران المذبح يغرس فيه سفودين « أى سيخين » من الحديد ويجوزه الأول طولا والثانى عرضا . ويشوى على تلك الحال على النار . ثم يأكلونه بسرعة وأحقاؤهم ممنطقة وأحذيتهم فى أرجلهم ، وعصيهم فى أيديهم إشارة إلى سرعة خروجهم منه ، وإذا بقى منه شىء أحرق بالنار مع عظامه التى نهوا عن كسرها :

« فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم اسحبوا وخذوا لكم غنما بحسب عشائركم واذبحوا الفصح . وخذوا باقة زوفا واغمسوها فى الدم الذى فى الطست ومسُّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطست .

---

(١) تكوين ٢٢ : ١ — ٢ .

(٢) تكوين ٢٢ : ١٣ — ١٤ .

وأنتم لايخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح . فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب . فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولأولادك إلى الأبد » (١) .

« وقال الرب لموسى وهرون : هذه فريضة الفصح . كل ابن غريب لا يأكل منه . ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه . النزيل والأجير لا يأكلان منه . فى بيت واحد يؤكل لا تخرج من اللحم من البيت إلى خارج . وعظما لا تكسروا »(٢) .

وكانت مدة عيد الفصح سبعة أيام أولها وأقدسها الخامس عشر من نيسان « إبريل » ، وكان عليهم فى اليوم السادس عشر أن يقدموا باكورة حصادهم حزمة من القمح أو الشعير مع حمل صحيح حولى لتقديس الحصاد . أما فى بقية أيام العيد فكان عليهم أن يقدموا ذبائح شتى للتكفير عن خطاياهم .

وقد ورد بيان تفصيلى عن الذبائح والتقدمات استوعب اصحاحين من سفر العدد وهما الأصحاح الثامن والعشرون والتاسع والعشرون .

وقد اعتبرت الكنيسة أن خروف الفصح اليهودى رمز للمسيح الفصح الذى قال عنه بولس : « لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا »(٣) .

وجاء فى التوراة ذبائح للتعبير عن الشكر :

وبدأت أول ذبيحة فى الأرض يوم أن « قدم هابيل من أبكار غنمه

---

(١) خروج ١٢ : ٢١ ـ ٢٤ .
(٢) خروج ١٢ : ٤٣ ـ ٤٦ .
(٣) ١ كو ٥ : ٧ .

ومن سمانها ، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه »(١) .

ثم أتبعها نوح بذبائح بعد أن استقر الفلك على الأرض وخرج كل من وما بالفلك إلى الأرض: « فبنى نوح مذبحا للرب . وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرضا »(٢) .

ثم شرع الله لبنى إسرائيل طقوس الذبائح والقرابين : « ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلا : كلم بنى إسرائيل وقل لهم : إذا قرب إنسان منكم قربانا للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم . إن كان قربانه محرقة من البقر فذكرا صحيحا يقربه . إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه للرضا عنه أمام الرب . ويضع يده على رأس المحرقة فيُرضى عليه للتكفير عنه . ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هارون الكهنة الدم ويرشون الدم مستديراً على المذبح الذى لدى باب خيمة الاجتماع . ويسلخ المحرقة ويقطعها إلى قطعها . ويجعل بنو هارون الكاهن ناراً على المذبح ويرتبون حطبا على النار . ويرتب بنو هارون الكهنة القطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذى على النار التى على المذبح . وأما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب » (٣) .

وتأخذ شريعة الذبائح عن الشكر الاصحاحين الأول والثالث من سفر اللاويين ، ثم شريعة التقدمات الاصحاح الثانى من سفر اللاويين ،

---

(١) تكوين ٤ : ٢ — ٥ .
(٢) تكوين ٨ : ٢٠ — ٢١ .
(٣) اللاويون ١ : ١ — ٩ .

ثم طقوس شريعة ذبيحة الخطأ والسهو الاصحاح الرابع والخامس من سفر اللاويين، ثم طقوس شريعة ذبيحة الإثم والسلامة الإصحاح السابع من سفر اللاويين . ويوصى موسى بقوله : « والنار على المذبح تتقد عليه . لا تطفأ ويشعل عليها الكاهن حطبا كل صباح ويرتب عليها المحرقة ويوقد عليها شحم ذبائح السلامة . نار دائمة تتقد على المذبح لاتطفأ »(١) .

ومثل هذه النار المتقدة دائماً تذكرنا بما صحب مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم من آيات اهتزت لها جوانب الوجود ، فارتج لولادته إيوان كسرى وتداعى البنيان ، وجفت بحيرة ساوة ، وغاض منها الماء ، وأخمدت لفارس من نوره النار . فكان هذا من إرهاصات النبوة التى تعد الأذهان لقبول مابعدها من أمر عظيم وشأن خطير . لقد خمدت من نور محمد صلى الله عليه وسلم نار فارس فلا أقل من أن تخمد نار إسرائيل ! ! لقد صورت التوراة فى شريعة الطقوس والذبائح والقرابين الإله بأنه اختص بهم دون سواهم وأنه ترتاح وتنتعش نفسه من رائحة الدخان المتصاعد من المحرقات ، وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه فى الصورة التى يرضاها ، أو إذا قدمت إليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وأنه قد يصب غضبه حينئذ على المقصرين فيرسل عليهم ناراً تحرقهم :

« وأخذ ابنا هارون ناداب وابيهو كل منهما مجمرته وجعلا فيهما نارا غريبة ووضعا عليها بخورا وقربا أمام الرب نارا غريبة لم يأمرهما بها فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب »(٢) .

ويرد القرآن الكريم على مزاعمهم هذه بقوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم

---

(١) اللاويون ٦ : ١٢ ـ ١٣ .

(٢) لاويون ١٠ : ١ ـ ٢ .

لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين »(١) ، وإذ يقول عز وجل فى هدى الحج من الأنعام : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير »(٢) .

كانت الحروب قائمة ضد إسرائيل ، وانتظر شاول الملك أن يقدم صموئيل النبي المحرقة وذبائح السلام ، ولما تباطأ صموئيل النبى « قال شاول : قدموا إلىَّ المحرقة وذبائح السلامة ، فأصعد المحرقة »(٣) . « فقال صموئيل لشاول : قد انحمقت لم تحفظ وصية الرب إلهك التى أمرك بها لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على إسرائيل إلى الأبد ، وأما الآن فمملكتك لاتقوم . قد انتخب الرب لنفسه رجلا حسب قلبه وأمره الرب أن يترأس على شعبه . لأنك لم تحفظ ما أمرك به الرب »(٤) ، « وقال صموئيل : هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب . هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش . لأن التمرد كخطية العرافة . والعناد كالوثن والترافيم . لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك »(٥) .

أما بشأن ذبيحة الخطية فقد أوصى بها موسى كما جاء فى سفر العدد : « وكلم الرب موسى وهارون قائلا : هذه فريضة الشريعة التى أمر بها الرب قائلا : كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لاعيب فيها ولم يعل عليها نير . فتعطونها لألعازار الكاهن فتخرج إلى خارج المحلة ، وتذبح قدامه ويأخذ ألعازار الكاهن من دمها بأصبعه وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات . وتحرق البقرة أمام عينيه يحرق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفا وقرمزا ويطرحهن فى وسط حريق البقرة ثم يغسل الكاهن ثيابه ويرحض جسده

(١) الحج : ٣٧ .
(٢) الحج : ٢٨ .
(٣) ١ صم ١٣ : ٩ .
(٤) ١ صم ١٣ : ١٣ — ١٤ .
(٥) ١ صم ١٥ : ٢٢ — ٢٣ .

بماء . وبعد ذلك يدخل المحلة ويكون الكاهن نجسا إلى المساء . والذى أحرقها يغسل ثيابه بماء ويرحض جسده بماء ويكون نجسا إلى المساء . ويجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المحلة فى مكان طاهر فتكون لجماعة بنى إسرائيل فى حفظ ماء نجاسة . إنها ذبيحة خطية . والذى جمع رماد البقرة يغسل ثيابه ويكون نجسا إلى المساء . فتكون لبنى إسرائيل وللغريب النازل فى وسطهم فريضة دهرية »(١) .

أما بشأن ذبيحة الكفارة فقد أوصى بها موسى عليه السلام كما جاء فى سفر العدد : « وكلم الرب موسى قائلا : قل لبنى إسرائيل : إذا عمل رجل أو امرأة شيئا من جميع خطايا الإنسان وخان خيانة بالرب ، فقد أذنبت تلك النفس فلتقر بخطيتها التى عملت وترد ما أذنبت به بعينه وتزد عليه خمسه وتدفعه للذى أذنبت إليه . وإن كان ليس للرجل ولى ليرد إليه المذنب به فالمذنب به المردود يكون للرب لأجل الكاهن فضلا عن كبش الكفارة الذى يكفر به عنه . وكل رفيعة مع كل أقداس بنى إسرائيل التى يقدمونها للكاهن تكون له . والإنسان أقداسه تكون له . إذا أعطى إنسان شيئاً للكاهن فله يكون »(٢) .

ويوضح العهد الجديد أن هذه الذبائح لا تستطيع ألبتة أن تنزع الخطية ، إذ يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مراراً كثيرة تلك الذبائح عينها التى لا تستطيع ألبتة أن تنزع الخطية . أما هذا (المسيح) فبعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله »(٣) .

ويقول أيضاً : « وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة

(١) عدد ١٩ : ١ — ١٠ .
(٢) عدد ٥ : ٥ — ١٠ .
(٣) العبرانيون ١٠ : ١١ — ١٢ .

فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد ، أى الذى ليس من هذه الخليقة وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً ، لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلاعيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (١).

ويقول كذلك كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « فإنه لو كان ذلك الأول بلاعيب لما طلب موضع لثان . لأنه يقول لهم لائماً : هوذا أيام تأتى يقول الرب : حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً . لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا فى عهدى وأنا أهملتهم يقول الرب . لأن هذا هو العهد الذى أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً » (٢) .

ويرى علماء اللاهوت بأن نبوءة إشعياء القائلة : « قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك لأن هاهى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم . أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك » (٣) تنطبق على المسيح ورسالته على الأرض هى رسالة السلام ومعرفة الله أنه « روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (٤) ، ومعرفته الذاتية أنه إنسان : « أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » (٥) .

---

(١) العبرانيون ٩ : ١١ — ١٤ .
(٢) العبرانيون ٨ : ٧ — ١٠ .
(٣) إشعياء ٦٠ : ١ — ٣ .
(٤) يوحنا ٤ : ٢٤ .
(٥) يوحنا ٨ : ٤٠ .

لقد كانت فرائض الذبائح والقرابين سببا من أسباب إيجاد فرقة المنبوذين، فإن موسى عليه السلام أمر بعزل المنجسين حتى يتطهروا كما جاء فى سفر العدد : « وكلم الرب موسى قائلا : أوص بنى إسرائيل أن ينفوا من المحلة كل أبرص وكل ذى سيل وكل متنجس لميت . الذكر والأنثى تنفون إلى خارج المحلة تنفونهم لكيلا ينجسوا محلاتهم حيث أنا ساكن فى وسطهم . ففعل هكذا بنو إسرائيل ونفوهم إلى خارج المحلة كما كلم الرب موسى هكذا فعل بنو إسرائيل » (١) .

ولكى يرتقى المنبوذ أو المعزول إلى درجة الامتزاج ببنى جلدته وقومه ينبغى له من الطهارة ومن طقوس الذبائح بأنواعها ذبيحة الشكر وذبيحة الفداء وذبيحة الإثم وذبيحة الكفارة طقوسا للتطهير فيوصى موسى بنى إسرائيل بقوله : « فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية ويجعل عليه ماء حياً فى إناء . ويأخذ رجل طاهر زوفا ويغمسها فى الماء وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك وعلى الذى مس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر ينضح الطاهر على النجس فى اليوم الثالث واليوم السابع ويطهره فى اليوم السابع فيغسل ثيابه ويرحض بماء فيكون طاهراً فى المساء . وأما الإنسان الذى يتنجس ولا يتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة لأنه نجّس مقدس الرب . ماء النجاسة لم يرش عليه . إنه نجس فتكون لكم فريضة دهرية والذى رش ماء النجاسة يغسل ثيابه والذى مس ماء النجاسة يكون نجسا إلى المساء . وكل ما مسه النجس يتنجس والنفس التى تمس تكون نجسة إلى المساء » (٢) .

هذه الطقوس لم تقرب بنى إسرائيل إلى الله بل باعدت بينهم وبين الله

---

(١) عدد ٥ : ١ — ٤ .

(٢) عدد ١٩ : ١٧ — ٢٢ .

فيقول إشعياء : « اسمعى أيتها السموات وأصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم . ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا على . الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف . شعبي لايفهم . ويل للأمم الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلى الشر أولاد مفسدين . تركوا الرب استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء » (١) .

ثم يندد بأعمالهم ويكشفها لهم وللأجيال بقوله : « لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة . البخور هو مكرهة لى . رأس الشهر والسبت ونداء المحفل . لست أطيق الإثم والاعتكاف . رءوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسى . صارت على ثقلا مللت حملها . فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم وإن كثرتم الصلاة لا أسمع . أيديكم ملآنة دماً .

« اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى كفوا عن فعل الشر تعلموا فعل الخير . اطلبوا الحق . أنصفوا المظلوم اقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة ... إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم » (٢) .

ويقرر بولس فى رسالته إلى رومية جزاء التمرد والعصيان فيقول : « لأن غضب الله معلن من السماء على فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم .. الذين استبدلوا حق الله بالكذب .. لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان » (٣) . وتحول إسرائيل عن التوراة إلى التلمود الذى يتفق ونزعاتهم ومثلهم فى ذلك مثل شاول لما تخلى عنه الله : « ولما رأى شاول

---

(١) إشعياء ١ : ٢ — ٤
(٢) إشعياء ١ : ١٣ — ٢٠ .
(٣) رومية ١ : ١٨ ، ٢٥ — ٢٦ .

جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جداً ، فسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء. فقال شاول لعبيده : فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فأذهب إليها وأسألها » (١) .

واحتال على امرأة صاحبة جان حتى أخرجت له روح صموئيل : « فقال صموئيل لشاول : لماذا أقلقتنى بإصعادك إياى ؟ فقـال شاول : قد ضاق بى الأمر جداً . الفلسطينيون يحاربوننى والرب فارقنى ولم يعد يجيبنى لا بالأنبياء ولا بالأوريم ولا بالأحلام فدعوتك لكى تعلمنى ماذا أصنع . فقال صموئيل : ولماذا تسألنى والرب قد فارقك وصار عدوك . وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدى وقد شق الرب المملكة من يدك وأعطاها لقريبك داود . لأنك لم تسمع لصوت الرب ويدفع الرب إسرائيل أيضاً معك ليد الفلسطينيين » (٢) .

وقد اعترف المؤرخ اليهودى برنارد لازار Bernard Lazare فى كتابه « اللاسامية » L'Anti - semitisme بأن عادة ذبح الأطفال ترجع إلى استخدام دم الأطفال من قبل السحرة اليهود فى الماضى .

ويقول الجنرال جواد رفعت أتيل خان ، فى كتابه « البرميل الإبرى »(٣) (إيفلى فيجى) : « إن حوادث الدم البشرى مفاهيم انتشرت بين عامة الشعب وهى ليست خرافة. والحقيقة أن جيل الشباب من اليهود يهتم كثيرا بعلوم السحرة والشعوذة . والتلمود يبحث عن السحر والشياطين بغموض كبير ، ولهذا فإن الطبيعى أن تستعمل الدماء خلال طقوسهم الدينية ، ومن المحتمل أن يكون سحرة اليهود قد ذبحوا أطفالا من غير

---

(١) ١ صم ٢٨ : ٣ — ٧ .
(٢) ١ صم ٢٨ : ١٥ — ١٩ .
(٣) طبعة استانبول سنة ١٩٥٨ ، والعبارات من ترجمة المجاهد فاروق حمود .

اليهود ليستفيدوا من دمائهم . وهكذا فإن هـذه الحوادث تعتمد على هذا الأساس » .

ويقول ج. كيتو Kitto فى كتابه « مجموعة الكتاب المقدس » الذى نشر فى عام ١٨٩٥ : « إن محاريبهم ملطخة بالدماء التى سفكت من عهد إبراهيم حتى سقوط مملكة إسرائيل ويهوذا » .

ويقول المسيح عليه السلام : « ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم . إذاً تشهدون وترضون فى أعمال آبائكم . لأنهم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم . لذلك أيضاً قالت حكمة الله إنى أرسل إليهم أنبياء ورسلا فيقتلون منهم ويطرودن ، لكى يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم من دم هابيل إلى دم زكريا الذى أهلك بين المذبح والبيت . نعم أقول لكم إنه يطلب من هذا الجيل »(١) .

ويشكو إيليا قائلا : « قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها » (٢).

وتقرر التوراة مدى انحراف بنى إسرائيل عن أحد ملوك يهوذا : « كان منسى ابن اثنتى عشرة سنة حين ملك ، وملك خمسا وخمسين سنة فى أورشليم ، واسم أمه حفصيبة ، وعمل الشر فى عينى الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل ، وعاد فبنى المرتفعات التى أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل سارية كما عمل آخاب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها ، وبنى مذابح فى بيت الرب

---

(١) لوقا ١١ : ٤٧ — ٥١ .

(٢) ملوك أول ١٩ : ١٠ .

الذى قال الرب عنه : فى أورشليم أضع اسمى ، وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارَى بيت الرب وعبّر ابنه فى النار وعاف وتفاءل واستخدم جانا وتوابع وأكثر عمل الشر فى عينى الرب لإغاظته ، ووضع تمثال السارية التى عمل فى البيت الذى قال الرب عنه لداود وسليمان ابنه : فى هذا البيت وفى أورشليم التى اخترت من جميع أسباط إسرائيل أضع اسمى إلى الأبد »(١).

ويقول ج. ا. دورزى Dorsey فى كتابه Civilization إن معابدهم فى القدس مخيفة بشكل يفوق معابد الهنود والسحرة ، وهى المراكز التى تقع داخلها جرائم القرابين البشرية .

وجاء فى صفحة ٦٥٣ من الجزء الثامن من دائرة المعارف اليهودية Jewish Encyclopedia طبعة ١٩٠٤ :

« إذا كان هناك من أساس أقر من قبل الحكماء فهو حقيقة القرابين البشرية التى تقدم للإله يَهْوَه ملك الأمة والتى بوشر فى تقديمها أواخر عهد الملكية اليهودية » .

وقد نقل الدكتور الألمانى أريك بسكوف Dr. Erich Bischoff المتخصص بدراسة تعاليم اليهود وتمحيصها عن كتاب يهودى اسمه Thikume Zohar « أن من حكمة الدين وتوصياته قتل الأجانب الذين لا فرق بينهم وبين الحيوانات ، وهذا القتل يجب أن يتم بطريقة شرعية ، والذين لا يؤمنون بتعاليم الدين اليهودى وشريعة اليهود يجب تقديمهم قرابين إلى إلهنا الأعظم » (٢) .

---

(١) ٢ مل ٢١ : ١ — ٧ .

(٢) Jewish Ritual Murder Arnold Leese. London 1938.

واعترف السير رتشارد بورتون Sir Richard Burton الذى درس التلمود وعلاقته بغير اليهود ، فى كتابه « اليهود ، النور ، والإسلام » الذى نشر سنة ١٨٩٨ بقوله فى صفحة ٧٣ :

« إن أهم نقطة فى المعتقدات اليهودية الحديثة هى أن الأجانب أى الذين لاينتمون إلى الدين اليهودى ليسوا سوى حيوانات متوحشة حقوقها لا تزيد عن حقوق الحيوانات الهائمة فى الحقول » ، وعلى الصفحة ٨٠ من الكتاب نفسه يقول : « يقول التلمود عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان إلهنا يهوه إحداهما عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية والأخرى مراسيم ختان أطفالنا » . ولليهود عيدان مقدسان لا تتم الفرحة فيهما إلا بتناول الفطير الممزوج بالدماء البشرية :

الأول عيد الفوريم وهو فى مارس من كل سنة والثانى عيد الفصح وهو فى إبريل من كل سنة ويواجه عيد الفصح عند المسيحيين Easter أما عيد الفوريم فيرمز إلى قصة اليهودية الجميلة استير المذكورة فى التوراة وكيف أنها أقنعت ملك الفرس بالسماح لليهود بقتل وزيره هامان وذبح عشرات الألوف من بنى قومه بما فيهم الأطفال والشيوخ والنساء بحجة أن هامان كان ينوى ذبح اليهود ، وتحيا فى هذا العيد ذكرى استير وجرائمهم الوحشية ضد الفرس .

وتقول التوراة : « لأننا قد بعنا أنا وشعبي للهلاك والقتل والإبادة ولو بعنا عبيدا وإماء لكنت سكت مع أن العدو لا يعوض عن خسارة الملك »(١) . ويمنحها الملك أحشويرس أمراً بإبادة هامان وأسرته وحاشيته : « فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا » (٢) . ثم استنوا لأنفسهم عيد الفوريم : « وكتب مردخاى هذه

---

(١) استير ٧ : ٤ .
(٢) استير ٩ : ٥ .

الأمور وأرسل رسائل إلى جميع اليهود الذين فى كل بلدان الملك أحشويرش القريبين والبعيدين ليوجب عليهم أن يعيدوا فى اليوم الرابع عشر من شهر آذار « مارس » واليوم الخامس عشر منه فى كل سنة حسب الأيام التى استراح فيها اليهود من أعدائهم والشهر الذى تحول عندهم من حزن إلى فرح ومن نوح إلى يوم طيب ليجعلوها أيام شرب وفرح وإرسال أنصبة من كل واحد إلى صاحبه وعطايا للفقراء » (١)، « ولأن هامان بن همداثا الأجاجى عدو اليهود جميعا ، تفكر على اليهود ليبيدهم وألقى فوراً أى قرعة لإفنائهم وإبادتهم وعند دخولها إلى أيام الملك أمر بكتابة أن يرد تدبيره الردىء الذى دبره ضد اليهود على رأسه وأن يصلبوه هو وبنيه على الخشبة ، لذلك دعوا تلك الأيام فوريم على اسم الفور لذلك من أجل جميع كلمات هذه الرسالة وما رأوه من ذلك وما أصابهم أوجب اليهود وقبلوا على أنفسهم وعلى نسلهم وعلى جميع الذين يلتصقون بهم حتى لايزول أن يعيدوا هذين اليومين حسب كتابتهما وحسب أوقاتهما كل سنة ، وأن يذكر هذان اليومان ويحفظا فى دور فدور ، وعشيرة فعشيرة ، وبلاد فبلاد ، ومدينة فمدينة ، ويوما الفور هذان لايزولان من وسط اليهود وذكرهما لا يفنى من نسلهم » (٢) .

إن شعب اليهود أين كانوا سبب قلاقل فى البلاد التى أكرمتهم ، ففى بابل تسببوا فى إبادة شخصيات على مستوى « هامان » ، ثانى رجل فى المملكة ، وفى مصر ماذا فعلوا ؟ إن موسى كما تزعم التوراة ينبئهم بأن الله « أعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » (٣).

---

(١) استير ٩ : ٢٠ — ٢٢ .

(٢) استير ٩ : ٢٤ — ٢٨ .

(٣) خروج ٣ : ٢١ — ٢٢ .

وحينما أفاقت شعوب أفريقيا وآسيا وأوربا من غفوتها هبت ترد العدوان وتدفع الخطر قبل أن يستفحل الداء العضال ويستشرى السرطان اليهودى فيفتك بأجسام ملايين البشر ويحولهم إلى عبيد لخدمة الشعب المختار . ونال اليهود بعد تلك الصحوة جزاءهم الأوفى .

ففى مصر :

تمكن منفتاح سابتح سنة ١٢١٨ ق.م من طردهم نهائيا من أراضى الدلتا .

وفى فارس :

صرح كورش ملك فارس بعودتهم إلى بلادهم « فى السنة الأولى لكورش ملك فارس عند تمام كلام الدين بفم إرميا نبه الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداء فى كل مملكته وبالكتابة أيضاً قائلا : هكذا قال كورش ملك فارس . جميع ممالك الأرض دفعها لى الرب إله السماء وهو أوصانى أن أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا . من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التى فى يهوذا فيبنى بيت الرب إله إسرائيل . هو الإله الذى فى أورشليم » (١) . وكان ذلك سنة ٥١٦ ق.م .

وفى بريطانيا :

أصدر الملك إدوارد الأول سنة ١٢٩٠م مرسوما يقضى بطرد اليهود من بريطانيا فى غضون ثلاثة أشهر ، إلا أنهم شرعوا يتسللون إلى البلاد تحت حماية كرومويل معلنين يهوديتهم سنة ١٦٥٦ ثمناً للرشوة التى قدموها إلى ذلك الطاغية الإنجليزى وأسسوا أول جمعية ليهود الإشكناز

(١) عزرا ١ : ١ — ٣ . أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ٢٢ — ٢٣ .

سنة ١٦٩٢ (١) . وهكذا كان التغلغل اليهودى التدريجى فى الحياة البريطانية فى فترة الغفلة التى أعقبت حكم كروموبل وغلبت فيها سياسة التغاضى عن خطط اليهود الشريرة .

وفى فرنسا :

ألغى لويس التاسع ثلث ماكان لهم من ديون على الحكومة والكنائس وأفراد الشعب ، ثم أصدر أمراً ملكيا بحرق جميع كتبهم وخاصة التلمود . وطردوا من جديد فى عهد فيليب الجميل وأصابهم من القتل والنهب شيء كثير ثم عادوا إلى البلاد . وفى سنة ١٣٤١ م هاج الشعب فى أواسط فرنسا وذبحوا من اليهود أعداداً كبيرة وطردوهم . ولم تأت سنة ١٣٩٤ م وفى فرنسا يهودى واحد The Jewish problem - London Golding - Hazell - London 1939.

وفى الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٠ م استغلوا ميرابو فدافع عن حقهم فى المساواة بسائر السكان ، ثم حاول نابليون بونابرت استغلالهم لمساعدته على تحقيق أطماعه التوسعية فى الشرق العربى . ثم مالبث النفوذ اليهودى أن تغلغل فى فرنسا بعد براءة الضابط اليهودى (دريفوس) من تهمة الخيانة العظمى لنقله الأسرار العسكرية إلى ألمانيا سنة ١٨٩٤ بعد أن كان قد حكم عليه بالإعدام فى المحاكمة الأولى . ومنذ أواخر القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا غدت فرنسا عميلة مسخرة لتحقيق أهداف الصهيونية واليهودية العالمية .

---

(١) اليهود الإشكناز هم الذين نزحوا إلى شمال شرق آسيا بعد خراب القدس سنة ٧٠ م واستقروا فى روسيا وشرقها وجنوبها وامتزجوا بالمغول ، ثم نزحوا إلى الغرب واستقروا فى بولندا وألمانيا وبريطانيا .

ويهود السفارديم هم الذين استقروا حول حوض البحر المتوسط .

في ألمانيا :

عاش اليهود حياتهم الانطوائية مستعلين على الألمان لا يختلطون بهم باعتبارهم Gintiles « كفارا ملحدين » — والشعب الألماني يمتاز بالتدين الأصيل ومسيحيته العميقة المتحررة — فنظر إليهم هتلر متوجسا منهم خيفة وعمل على إبادتهم في فترة حكمه من سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٤٥ ولم يفعل بهم أكثر مما فعله فرعون مصر يوم أجلاهم عن البلاد .. ولا أكثر مما فعله نبوخذ نصر يوم دمر هيكلهم وبطش بهم وسباهم إلى بابل سنة ٥٨٦ ق . م . ولا أكثر من الإمبراطور تيطس يوم أن دمر الهيكل وأحرق أورشليم وسباهم إلى أراضي الإمبراطورية الرومانية ، كوسيلة وحيدة للحد من تآمرهم وأحقادهم على المسيحية في أول عهدها !!

في أسبانيا :

وصلت موجة البطش باليهود أوجها في عهد الملك فرديناند وزوجته إيزابلا فأصدر الملك مرسوما في ٣١ مارس سنة ١٤٩٢ نص على ما يأتي : « يعيش في مملكتنا عدد غير قليل من اليهود . ولقد أنشأنا محاكم التفتيش منذ اثنتي عشرة سنة ، وهي تعمل دائماً على توقيع العقوبة على المذنبين . وبناء على التقارير التي رفعتها لنا محاكم التفتيش ثبت بأن الصدام الذي يقع بين المسيحيين واليهود يؤدي إلى ضرر عظيم ، ويؤدي بالتالي إلى القضاء على المذهب الكاثوليكي . ولذا قررنا نفي اليهود ذكورا وإناثا خارج حدود مملكتنا وإلى الأبد . وعلى اليهود جميعا الذين يعيشون في بلادنا — ومن غير تمييز في الجنس أو الأعمار — أن يغادروا البلاد في غضون فترة أقصاها نهاية يوليو من نفس العام وعليهم ألا يحاولوا العودة تحت أي ظرف أو أي سبب » (١) .

---

(١) The Expulsion of the Jews from Spain Marw Constable London 1935 .

في بقية دول أوربا :

وكذلك وقع لليهود اضطهادات فى كل من روسيا وبولندا وإيطاليا وبلغاريا وسويسرا وهنغاريا . والمذابح التى وقعت لهم فى روسيا على مر الأزمنة وفى مختلف العصور يعجز القلم عن وصفها .

وفى إيطاليا :

حاربهم البابوات وأصدروا المراسيم العديدة لتكفيرهم وتسفيه ديانتهم المرتكزة على التلمود . وفى سنة ١٢٤٢ أعلن البابا جريجورى التاسع اتهامات صريحة ضد التلمود الذى يطعن فى المسيح والمسيحية وشكل البابا لجنة لفحص الاتهامات فأقرت اللجنة التهمة وأمرت بحرق التلمود .

وضاق الشعب بأخلاق اليهود ووقاحتهم وجشعهم فثار عليهم مرات عديدة وفى أماكن مختلفة من البلاد وخاصة فى نابولى التى فتك بهم شعبها وطرد البقية الباقية منهم سنة ١٥٤٠ م (١) .

لقد ذبح اليهود وأحرقوا ونكل بهم وشردوا قبل مئات السنين من ظهور النازية وحكم هتلر . والجرائم التى نسبت لليهود فى كل زمان ومكان واحدة لم تتغير : الجشع والسرقة وامتصاص دم الشعب البرىء وتدمير الأوطان سياسيا واقتصاديا وأخلاقيا وعسكريا ، والتآمر مع الأعداء ومحاربة القيم الأخلاقية ، والتشكك فى كل دين يتعارض مع ديانتهم الهمجية المبنية على التلمود ومقررات حكماء صهيون ، واستنزاف دم الأطفال من غير اليهود لاستخدام دمائهم فى فطير عيد الفصح ، وتسميم الآبار وتزييف العملة وتشكيل الجمعيات السرية التابعة للماسونية العالمية ونشر الفوضى والانحلال والإباحية .

---

(١) History of theJ wish, Gratz, Philadelphia U.S.A. 1941.

الفصل الثانى

الحكومة اليهودية العالمية

دفعت التعاليم اليهودية الواردة فى التوراة « العهد القديم » وفى التلمود اليهود إلى السعى الدائم من أجل السيطرة على العالم وتسخيره لخدمة الشعب المختار !

ومن أجل تحقيق أهدافهم الشريرة أنشأوا الجمعيات والمنظمات التى تولت أمر التخطيط ورسم الطريق أمام اليهود للوصـــول إلى أهدافهم اللامعقولة .

ويكون اليهود فى العالم حكومة مستورة يديرها ٣٠٠ عضو ممن أطلقوا على أنفسهم لقب حكماء صهيون ، ينتخبون دائما شخصاً يعتبرونه ملكا وارثا الملك داود وسليمان ولا يعلنون عن اسمه ، وكلما توفى ملك عينوا بدله من بين أحبار اليهود .

ولا يخفى اليهود خططهم هذه واعترف بها كثير من كتابهم ورجال الدين والمال فيهم . وقد ذكر المليونير اليهودى ولتر راثنو Walter Rathenau فى جريدة ألمانية The Wiener Press بتاريخ ١٩٠٩/١٢/٢٥ :

« هناك ٣٠٠ رجل كل منهم يعرف جميع زملائه الآخرين ، يتحكمون فى مصير أوربا . إنهم ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم ، وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التى تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضون عنها »(١) .

---

(١) The Key to the Mystery - Christian Nationalist- Missouri 1937.

ولقد شبه اليهود أنفسهم حكومتهم المستورة بالأفعى السامة التى بدأ زحف رأسها المميت من فلسطين بعد خراب الهيكل سنة ٧٠ م ، لتخريب العالم ، وذنبها باق فى فلسطين ولا يعود الرأس للالتقاء بالذنب إلا بعد تدمير العالم والتربع على أنقاضه تحت حكم ملك يهودى يحكم العالم من القدس .

ولما كانت الحكومة اليهودية المستورة غير قادرة على التحكم فى مصائر الشعوب والحكومات مادام هناك دين أو أخلاق ، فقد كان من أول أعمال تلك الحكومة المجرمة القضاء على الدين والأخلاق عند شعوب العالم .

وقد عمد اليهود إلى تنفيذ خطط عديدة للوصول إلى أهدافهم ، ولم تبق جميع خططهم سرية ، إذ عثر السير جون ردكايف (١) على نص خطبة ألقاها الحاخام Reichorn فى اجتماع سرى عقده اليهود على قبر قديسهم سيمون بن يهودا فى مدينة براغ سنة ١٨٦٩ . ونشرت الوثيقة فى مجلة Cantemporain بتاريخ ١٨٨٠/٧/١ .

ولما كانت الوثيقة على جانب كبير من الأهمية وخاصة أنها تكشف خطط اليهود قبل مجىء هرتزل أبى الصهيونية الحديثة ، فقد وجدت من الفائدة نشر بعض نصوص تلك الوثيقة المشتملة على خطبة الحاخام اليهودى Reichorn ومما ورد فيها مايلى (١) :

١ — « لقد وكل آباؤنا للنخبة من قادة يهودا ، أمر الاجتماع مرة على الأقل فى كل قرن ، حول قبر أستاذنا الأعظم الرابى المقدس سيمون ابن يهودا الذى تعطى تعاليمه للصفوة من كل جيل ، سيطرة على جميع العالم وسلطة على نسل يهودا » .

---

(١) The Keyto the Mystery - Christian Nationalist - Missouri 1938 .

٢ — « وها قد مضى ثمانية عشر قرنا على حرب يهودا من أجل تلك السيطرة التى وعد بها إبراهام ، والتى اغتصبها الصليب ، ورغم أن شعب يهودا قد ديس بالأقدام ، وأهين من قبل أعدائه وكان على الدوام مهدداً بالموت والاضطهاد والاغتصاب وجميع أنواع الشدائد ، فإنه لم يستسلم . وإذا كنا قد انتشرنا فى جميع أنحاء العالم فلأن العالم كله ملك لنا » .

٣ — « منذ قرون عديدة حارب حكماؤنا الصليب بشجاعة وعزيمة لاتغلبان ، إن شعبنا يخطو شيئاً فشيئاً نحو القمة ، وفى كل يوم تزداد قوتنا . نحن نملك آلهة هذا العصر ، تلك الآلهة التى نصبها لنا هارون فى الصحراء . إنه العجل الذهبى الذى عبدناه ، والذى يعتبر اليوم إله العالم أجمع » .

٤ — « ومنذ اللحظة التى نصبح فيها المالكين الوحيدين للذهب فى العالم ، فإن القوة الحقيقية تصبح ملك أيدينا ، وعندئذ نحقق الوعود التى قدمت لإبراهام » .

٥ — « الذهب أعظم قوة فى عالم الذهب . إنه قوة وفى الوقت نفسه هبة ، إنه يؤمن جميع أنواع السعادة ، تلك التى يخشاها المرء ويشتهيها . هنالك يكمن السر ، وعمق المعرفة بالروح التى تحكم العالم ، هنالك تملك المستقبل » .

٦ — « كانت القرون الثمانية عشر الماضية لأعدائنا ، ولكن القرن الحالى والقرون المقبلة ستكون لنا ويجب أن تكون لنا نحن شعب يهودا ، ومن المحقق أنها ستكون لنا ، إن عصور الاضطهاد والعذاب ، والأزمنة السود المؤلمة ، التى تحملها شعب يهودا بصبر وشجاعة ، قد مرت بسلام ، وشكراً لتطور المدنية بين المسيحيين وتقدمها ، وهذا التقدم هو الدرع الذى نختبىء من ورائه لنعمل بثبات وسرعة خاطفة من أجل إزالة الفجوة التى مازالت تفصلنا عن غاياتنا النهائية » .

٧ — « دعونا نجيل النظر فى الحالة المادية لأوربا ، وندقق فى الموارد التى جمعها اليهود منذ بداية هذا القرن ، بمجرد ما جمعناه من رءوس أموال كبيرة هى ملك أيدينا فى هذه اللحظة . وهكذا فى باريس ، لندن ، فيينا ، برلين ، أمستردام ، هامبورغ ، روما ، نابولى . . . الخ وفى آل روتشيلد نجد أن اليهود فى كل مكان هم سادة الأوضاع المالية لأنهم يملكون عدة آلاف الملايين » .

ويبدو أن الحاخام Reichorn قد تعمق فى دراسته لأبعاد المسيحية فجاهدها جهاداً عنيفاً وناضلها بمرارة ووحشية ، فهو يعتبر المسيحية قد ظهرت لتغتصب منهم المجد ، حتى أن طلبة بطرس من المسيح كانت تتسم بسمات الآمال الدنيوية العريضة إذ سأل المسيح قائلا : « ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ » (١) ، بينما تآمر الكهنة عليه يدل على مدى وقوفهم على ضياع أمجادهم ما دام المسيح حيا : « فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا وقالوا : ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة . إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا » (٢) ، وينتهى أمر المؤامرة بقرار قتله : « فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئا ، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » (٣) .

والحاخام Reichorn يعلم أن المسيحية تسمو بمسيحييها عن التكالب على الدنيا وتدفعهم إلى التسامى للروحيات . يقول المسيح : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (٤) .

---

(١) متى ١٩ : ٢٧ .
(٢) يوحنا ١١ : ٤٧ — ٤٨ .
(٣) يوحنا ١١ : ٤٩ — ٥٠ .
(٤) متى ٦ : ٢٤ .

ولهذا جعل بولس رسول المسيحية مناط الأعمال الدينية العليا لأناس زهدوا الدنيا فيقول لهم : « فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة ، صاحياً ، عاقلا ، محتشما ، مضيفا للغرباء ، صالحا للتعليم ، غير مدمن الخمر ، ولا ضراب ولا طامع بالربح القبيح بل حليما غير مخاصم ولا محب للمال » (١) .

بل إن الحاخام Reichorn يستند إلى عهد الله مع إبراهيم عهداً قد حدده الله بشرط : « وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك . وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا ، وأكون إلههم .

« وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى ، أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم » (٢) .

وقطع الله ميثاقا مع إبراهيم : « فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (٣) .

ويقرر المسيح أن الختان لم يكن فريضة شرعها الله لبنى إسرائيل بل وصية الآباء : « أعطاكم موسى الختان . ليس أنه من موسى بل من الآباء ففى السبت تختنون الإنسان » (٤) .

---

(١) ١ تى ٣ : ٢ — ٣ ، تى ١ : ٧ — ٨ .
(٢) تكوين ١٧ : ٧ — ١١ .
(٣) تكوين ١٥ : ١٨ .
(٤) يوحنا ٧ : ٢٢ .

ويقرر بولس رسول المسيحية أن الختان لا ينفع صاحبه إذا كان متعديا لشريعة موسى : « فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس . ولكن إن كنت متعديا الناموس فقد صار ختانك غرلة » (١) .

ولقد كان لأعمال إسرائيل التى تتنافى مع القيم الأخلاقية « أن اسم الله يجدّف عليه بسببكم بين الأمم (٢) » ، حتى إن المسيح وإن تنازل عن حقه فإن موسى لن يتنازل قط ، « لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنّى . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى » (٣) .

ومن هنا يتبين أن الحاخام Reichorn ينظر إلى العهد من زاوية واحدة من ناحية ميراث الأرض : « أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (٤) . غير أن المسيح أعلنهم بالمصير المحتوم الأبدى بقوله : « أما قرأتم قط فى الكتب . الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (٥) .

ومع هذا المصير المحتوم يتصدى الحاخام Reichorn لإرادة الله ويستمر فى خطبته المتضمنة ما خلاصته :

« يعيش الملوك والأباطرة والأمراء اليوم مثقلين بالديون وعلينا أن نستغل هذه الناحية ونزيد من قروضنا لهم مقابل رهن أملاكهم وسكك

(١) رومية ٢ : ٢٥ .
(٢) رومية ٢ : ٢٤ .
(٣) يوحنا ٥ : ٤٥ — ٤٧ .
(٤) تكوين ١٥ : ١٨ .
(٥) متى ٢١ : ٤٢ — ٤٣ . راجع ما جاء بكتابى « محمد فى التوراة والإنجيل » .

الحديد والمصانع والمناجم فى بلادهم وبذلك تتم لنا السيطرة على عروشهم وإماراتهم » .

« شعبنا طموح ، فخور ومحب للرفاهية والسعادة ، وحيثما كان النور لا بد من وجود ظـــل ، وليس عبثا أن إلهنا قد أعطى شعبه المختار قوة الأفعى وحيويتها ، وحيلة الثعلب ومكره ، وبعد نظر الصقر ، وقوة ذاكرة الكلب ، والتضامن الفطرى لدى كلاب البحر » .

« قيل بأن عدداً من إخواننا اليهود تنصروا . وماذا يضيرنا ؟ إن هؤلاء اليهود الذين يتعمدون بأجسامهم ستظل أرواحهم يهودية ، وسوف يكونون لنا مشعلا نستنير به فى اكتشاف خبايا النصرانية ومساعدين لنا على رسم الخطط التى تدمر المسيحية . إن الكنيسة عدونا الخطير فلنستفد من إخواننا الذين تنصروا فى الظاهر ، لبث الفساد فى الكنيسة وإشاعة أسباب الخلاف والفرقة والصراع بين المسيحيين ونشر الأنباء المشوهة التى تسىء إلى رجال الدين فيقل احترامهم ويزدريهم الشعب فى كل مكان » .

« التجارة والمضاربة مصدرا ربح عظيم فلا يصح خروجهما من أيدينا . علينا أن نستولى على احتكارات الخمور والحبوب والدقيق وتجارة المواد الغذائية لنتحكم فى بطون الـ Gentiles الكفار » .

« علينا أن نتسلل إلى جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، لا بد أن نتسلم مناصب رئيسية فى القضاء والوزارات الرئيسية « المالية ، الخارجية ، الحربية » والجامعات وأقسام الفلسفة منها والقانون والموسيقى والطب والاقتصاد السياسى والآداب والعلوم ، وأهمها جميعا الطب ، لأن الطبيب يطلع على أسرار العائلات ، ويتغلغل فى صميم حياة أعدائنا المسيحيين ويقبض على كل شىء لديهم : الصحة والحياة » .

« علينا أن نشجع الزواج من المسيحيات . وان نخسر شيئا من جراء ذلك الاختلاط بل لابد أن نكون الرابحين ، وقد توصلنا مصاهرة الأسر المسيحية الكبيرة إلى السلطة المدنية ومفاتيح النفوذ فى جميع الدوائر ، فلنشجع الزواج العرفى يعقد أمام السلطة المدنية ولنحارب الزواج الدينى يعقد فى الكنيسة » (١) .

« إذا كان الذهب هو القوة الأولى فإن الصحافة هى القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى ، فعلينا بواسطة الذهب أن نستولى على الصحافة ، وأن نبذل المال لمن نجد نفوسهم مفتوحة لتقبل الرشوة . وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين إلى تحطيم الحياة العائلية والأخلاق والدين والفضائل » .

« شعبنا محافظ مؤمن متدين ، ولكن علينا أن نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ونضعف الروابط المتينة التى تعتبر أهم مقومات الشعوب ، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد » .

« علموا أبناء يهودا هذه التعاليم والمبادىء التى ستجعل من شعبنا شجرة عظيمة مثمرة تحمل أغصانها ثمار السعادة والرخاء والقوة والثراء » .

وكل مطلع على التاريخ اليهودى ومراحله يدرك كم من هذه النقاط والمبادىء قد تحقق ، وإلى أى مدى نجحت الحكومة المستورة فى تحقيق أهدافها بالنسبة لبلاد كثيرة أهمها بريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا . ويجدر بى أن أقدم عرضاً موجزاً عن الصهيونية ودعائمها وعن الجمعيات اليهودية العالمية التى استخدموها فى دعم حكومتهم المستورة وبسط سيطرتها على الشعوب .

---

(١) حينما قامت الثورة الروسية كانت الزيجات باليهوديات ظاهرة تؤكد معتقداتهم ، فستالين ومولوتوف كانا متزوجين بيهوديتين وهما من الأعضاء البارزين فى المكتب السياسى وفى مجلس إدارة الحرب والثورة .

١ ـ الحركة الصهيونية

بعد أن قوّض الآشوريون بنيـــان مملكة إسرائيل الشمالية عام ٧٢١ ق. م ، ودمر الرومان الولاية اليهودية سنة ٧٠ م ، بقيت فكرة إسرائيل حية فى كلمات هذا المزمور :

على أنهار بابل هـــناك جلسنا
بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون
على الصفصاف فى وسطها علقنا أعوادنا
لأنه هناك سألنا الذين سبونا
كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحا
قائلين : رنموا لنا من ترنيمات صهيون
كيف نرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة
إن نسيتك يا أورشليم تُنْسَ يمينى (١)

من هذه الكلمات نبتت بذرة فكرة الصهيونية الوطنية ، على الرغم من الدعوة السمحة التى تشبعت بها نفوس أتباع « يهوه » ـ الله ـ كما كان يدعوه اليهود .

وعندما أخذ نبوخذ نصر اليهود سبايا إلى بابل ســـنة ٥٨٦ ق . م خاطبهم نبيهم « إرميا » بقوله :

« ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات ، وكلوا ثمرها ، خذوا نساء وَلِدُوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين

---

(١) مزمور ١٣٧ : ١ — ٥ .

وبنات واكثروا هناك ولاتقلوا ، واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام » (١) .

هذه هى الفلسفة السمحة التى بنيت عليها أسس المعتقدات اليهودية ، ولم يوجه الأنبياء العبرانيون : عاموس وإرميا وميخا وإشعياء وإيليا اهتمامهم أبداً لاستعادة السلطة الزمنية ، وإنما حصروا هذا الاهتمام فى دفع الظلم عن بنى قومهم ، وحثهم على عبادة الله إله الرحمة ، والتمسك بأهداب الحق والفضيلة .

وقد كتب النبي إشعياء ، عام ٥٣٦ ق . م مؤيداً أقوال النبي إرميا ، ومتنبئاً بظهور المسيح المنتظر . وعبارته المشهورة : « فى العام المقبل سنكون فى أورشليم » لم يقصد بها قوماً معينين بل عنى بها إحياء مملكة الله التى ستكون نواة لمجتمع فاضل يسكنه رجال أفاضل ومثاليون . وقد وصف هذا النبي فى التوراة رسالة اليهودية بقوله :

« إن جبل بيت الرب يكون ثابتا . . وتجرى إليه كل الأمم . وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » (٢) .

وتاريخ الشعب الذى جاء بعد بنى يهوذا والذى عرف فيما بعد باليهود ليس سوى استمرار للصراع بين العقيدة البحتة وبين الفكرة الرامية إلى إنشاء دولة وشعب مختار .

وعندما هزم كورش الفارسى بنوشيدس آخر ملوك بابل ، سمح لسبايا اليهود عام ٥٣٨ ق . م بالعودة إلى ديارهم وإعادة بناء معبدهم فى أورشليم

---

(١) إرميا ٢٩ : ٥ — ٧ .
(٢) إشعياء ٢ : ٢ — ٣ .

وممارسة طقوسهم الدينية .

والذين عادوا إلى أورشليم من الأسر هم الذين حملوا معهم فكرة الوطن القومى اليهودى وشعب الله المختار . وقد ظلت هذه الفكرة تراود أذهان قادتهم الذين تولوا حكمهم فى ظل الإمبراطورية الفارسية وماعقبها من حكم اليونان والسوريين والرومانيين .

ومن ذلك .. أن الكاهن عزرا ، ومن بعده نحميا ، حظرا على اليهود الزواج من غير بنى قومهم . . وغدا المعبد عندهم مركزاً للنشاط الدينى والقومى معاً :

« فقام عزرا الكاهن وقال لهم : إنكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل » (١) ، « فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا مرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة » (٢) ، « والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد لكى تتشددوا وتأكلوا خير الأرض وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد » (٣) .

وفى مطلع عام ١٣٢ م قام باركوبيه يسانده الحاخام « عقيبا » بحركة ثورية ضد الإمبراطور الرومانى هادريان هدفها جميع شمل اليهود تحت راية وطن قومى ، ولكن القائد الرومانى تينوس روفوس ، تمكن من إخماد الثورة ودخل أورشليم بعد تدميرها ، وأقام معبداً للإله جوبيتر مكان المعبد اليهودى القديم .

---

(١) عزرا ١٠ : ١٠ .

(٢) عزرا ١٠ : ١١ .

(٣) عزرا ٩ : ١٢ .

وإبان الحكم الرومانى لفلسطين ، كان عدد المتهودين فى أنحاء العالم أضعاف العدد الموجود فى الأرض المقدسة حتى أن كثيرين من أشراف روما أعجبوا ببعض تعاليم اليهودية وخاصة مبدأ التوحيد.

ولكن حركة التبشير لليهودية شلت مع ظهور المسيحية ، فقد تولت الديانة الجديدة الدعوة لمبدأ التوحيد فى العالم الوثنى (١) ، ومن بعدها تولاها الإسلام .

وكان بدء الاصطدام بين المسيحية واليهودية ، ضربة قاصمة لحركة الإصلاح التى نادى بها رسل اليهودية . . . فشلتها تماما . كما دفنت رسالة اليهودية ، كديانة توحيد ، فى الطقوس والتعاليم الجامدة فقط .

وكان من جراء ذلك أن قام قادة اليهودية ينادون بالعزلة التامة ليتحرروا من رواسب التأثير اليونانى ، وبالتالى من مزاحمة المسيحية ، التى بسطت آنذاك نفوذها فى كل مكان ، بما حصلت عليه من امتيازات وحرية واسعة لنشر ديانتها الجديدة .

وفى أوربا الغربية كان اليهود يقطنون غالبا فى أحياء خاصة من المدن ، ليحموا أنفسهم وأموالهم من عالم لا يكن لهم أى صداقة . ففى أسبانيا مثلا كان اليهود يسكنون فى أحياء خاصة تحيط بها جدران مرتفعة ، تسمى « الغيتو » .

ومن روسيا . . اندلعت الشرارة الأولى للصهيونية كحركة سياسية تهدف لاستعادة مجـــد صهيون فى أرض الميعاد . . وراحت بذرة هذه الفكرة تترعرع فى نفوس غلاة اليهود من ذوى المطامع السياسية

(١) « قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا .. قائلين : أيها الرجال لماذا تفعلون هذا ؟ نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها » . أعمال الرسل ١٤ : ١١ ، ١٥ .

وفى عام ١٨٨٤ ، عقد أول مؤتمر صهيونى فى مدينة بال وكان الداعى إليه هو « تيودور هرتزل » حامل لقب الصهيونى الأول وهرتزل هذا كان صحافيا نمساويا ، وكان قد حضر محاكمة الضابط اليهودى « دريفوس » فى باريس ، وتألم كثيرا للحملة المغرضة التى شنتها الصحف الفرنسية على دريفوس أثناء محاكمته .. لأنه يهودى .. وكان أن وضع كتابه الأول عن الصهيونية « دولة يهوذا » شرح فيه هدفها الأساسى ؛ كما وقف فى مؤتمر بال يدعو صراحة إلى إنشاء وطن قومى فى فلسطين

وساعد هرتزل فى حركته الصهيونية كتاب كبار من اليهود مثل ماكس نوردو، وإسرائيل زانجويل وغيرهما من كتاب اليهود فى مختلف أنحاء العالم

وشرع هرتزل يستغل سماحة الإسلام التى كان اليهود يعيشون فى ظلها بسلام وأمان ، وفكر فى استدرار عطف أكبر شخصية إسلامية فى ذلك الوقت الخليفة عبد الحميد .

وحينما قابله فى مايو ١٩٠١ وأغسطس ١٩٠٢ حاول إقناعه باستدرار العطف تارة وبعرض المال والإغراءات الكثيرة التى تدعم حكم السلطان ، بيد أن جميع محاولات هرتزل فى الحصول على وعـــد سلطانى باستيطان فلسطين قد أخفقت ، ووقف السلطان بعناد وثبات ضد أطماع الصهيونية التى كانت تسعى إلى تهويد فلسطين .

وعاد هرتزل يمارس ضغطه على الحكومة البريطانية التى لاتنسى أعمال دزرائيلى رئيس الوزارة البريطانية فى عهد الملكة فيكتوريا والذى تظاهر باعتناق المسيحية من تدعيم الكيان البريطانى فى المستعمرات البريطانية فى الشرق الأوسط بأموال رجال المال مثل مونتفيورى وروتشيلد ، بل استطاع أن يشترى حصة مصر فى أسهم قناة السويس واقترضت الدولة البريطانية قيمة حصة مصر من أسهم قناة السويس مقابل عمولة قيمتها مائة

ألف جنيه استرليني من المليونير روتشيلد . لن تنسى بريطانيا لليهود تمكين بريطانيا من مصر منافسة لفرنسا فاستغل هرتزل وفاء بريطانيا لخدمات اليهود الذين جندوا أنفسهم لخدمة أهداف الصهيونية وتحقيق أطماعهم .

فنشأت فكرة منح اليهود حق إقامة دولة لهم فى شبه جزيرة سيناء غير أن ندرة الماء فيها حالت دون المضى فى المشروع . ثم عرض الإنجليز على هرتزل مشروع إقامة دولة لليهود فى أوغندة فقبل الفكرة ولكن المؤتمر الصهيونى السادس الذى انعقد فى سنة ١٩٠٣ رفض المشروع وأصر على فلسطين وطنا قوميا لليهود . ومات هرتزل سنة ١٩٠٤ وفى نفسه غصة لعدم قبول مشروع إنشاء وطن لليهود فى أوغندة .

ومن أقوال كبار كتاب الصهيونية بشأن مطامعهم الصهيونية :

١ — « يجب التمسك بفكرة فلسطين الكبرى على أن تكون البداية مترکزة على الأطراف ، هذه هى الصهيونية الواقعية الممكنة » .

دافيد ترتيش ١٨٩٩

٢ — « إن قبرص ليست سوى خطوة إلى فلسطين » . هرتزل

٣ — « إن قبرص هى جزء من فلسطين الكبرى » . دافيد ترتيش

٤ — « إن أرض سيناء والعريش هى أرض لليهود العائدين إلى وطنهم » .

هرتزل

٥ — « إن أوغندة هى معسكر ليلى لليهود .. محطة فى منتصف الطريق إلى فلسطين » .

ماكس نوردو

٦ — « إن فلسطين التى نريد هى فلسطين داود وسليمان » . هرتزل

٧ — « ما من صهيونى يقبل أن يتنازل عن أصغر رقعة من أرض إسرائيل » .

بن غوريون

هذه هى أقوالهم بل إنها أهدافهم التى ينشدونها ويعملون لها . أما أخطر ما تمخضت عنه حركة هرتزل الصهيونية فهى المؤتمرات السنوية التى أخذت تنعقد كل عام فى بلد من بلاد العالم ، وتضم كبار حكمائهم . وقد بدأ هرتزل هـذه المؤتمرات سنة ١٨٩٧ م يوم عقد فى بال فى سويسرة أول مؤتمر لحـكماء صهيون .

وقد اتخذ ذلك المؤتمر قرارات علنية وسرية ، أما العلنية فخلاصتها تأسيس دولة لليهود فى فلسطين ويمهد لذلك بتقوية الحركة الزراعية وشراء الأراضى لليهود فى فلسطين ، وتنمية موارد اليهود المالية ، وإنعاش الثقافة العبرية والمشاعر الوطنية بين جميع اليهود . وقد استعان هرتزل وحكماء صهيون الذين تجمعوا فى بال على تحقيق أهدافهم بحث أغنياء اليهود فى العالم على البذل والتضحية من أجل تحقيق أهداف الصهيونية . وتقدمت الأسر اليهودية الغنية وعلى رأسها آل روتشيلد ويهود أمريكا بالمال اللازم لدعم خطط أكبر حركة يهودية تهدف إلى جمع وتأسيس دولة لهم وهى الحركة الصهيونية .

الصهيونية دين اليهود الجديد :

إن الحركة الصهيونية تقوم على أساسين راسخين هما التوراة والتلمود من الناحية النظرية وتقوم على أساس ثالث هو مقررات حكماء صهيون من الناحية العملية التنفيذية . والتوراة هى غير الرسالة السماوية التى نزلت على موسى عليه السلام ، بل هى التى تتوافق مع التلمود الذى وضعه أحبار اليهود حسب أهوائهم وكتبوها بعد مضى أكثر من عشرة قرون على رسالة موسى . ومن إلقاء نظرة فاحصة مخلصة على تعاليم هذه الديانة ندرك أن الخلق اليهودى الإجرامى ليس طارئا أو ناجما عن الاضطهاد الذى تعرضوا له عبر القرون الطويلة ولـكنه وليد الديانة اليهودية المحرفة نفسها التى ندد بها المسيح بقوله : « أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم ، يامراءون حسنا

تنبأ عنكم إشعياء قائلا : يقترب إلىّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فيبتعد عنى بعيدا ، وباطلا يعبدونى وهم يعلمون تعاليم هى وصـــايا الناس » (١) .

أما أسباب اضطهاد الشعوب لهم فيقررها موسى على لسان العزة الإلهية بقوله : « وإن كنتم لا تسمعون لى بل سلكتم معى بالخلاف .. فإنى أصير مدنكم خربة ومقادسكم موحشة ولا أشتم رائحة سروركم .. وأذريكم .. بين الأمم وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة ومدنكم تصير خربة .. والباقون منكم ألقى الجبانة فى قلوبهم فى أراضى أعدائهم فيهزمهم صوت ورقة مندفعة فيهربون كالهرب من السيف ويسقطون وليس طارد . ويعثر بعضهم ببعض كما من أمام السيف وليس طارد ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم . فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم » (٢) .

هذه هى الحقيقة التى أعلنها هرتزل بقوله : « من السخافة أن ننكر وجود « مشكلة » يهودية ، فإنها موجودة حيثما توجد جماعة من اليهود . وإذا لم توجد لا يلبث أن يحملها إليها المهاجرون . إننا نهاجر إلى الجهات التى لا نضطهد فيها ولكن ظهورنا فيها يحمل على اضطهادنا » .

وفى هذا المعنى يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « تقاتلكم اليهود فيظهركم الله عليهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » . وقوله : « ستظل العداوة قائمة بين المسلمين واليهود حتى ينطق الحجر ويقول : ورائى يهودى فاقتله » . صدق رسول الله .

إن تعاليم هـــذه الديانة المحرفة دليل الخلق اليهودى الإجرامى وهى مبنية على التوراة والتلمود الذى يفسر تعاليم اليهودية وفلسفة رجال الدين القدامى « الربانيين » ، وبروتوكولات حكماء صهيون التى ترسم خطط

---

(١) متى ١٥ : ٦ — ٩ .
(٢) لاويون ٢٦ : ٢٧ — ٣٩ .

تدمير العالم من أجل أن يحكموا على أنقاضه ، وهى الديانة التى غرست فى نفوس اليهود بذور الإجرام والحقد والفساد والرذيلة والوحشيـــة والانحلال والعنصرية والغرور والوقاحة .

والديانة اليهودية هى التى أحلت لهم سفك الدماء وأكلها وشجعتهم على البطش بالأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال ، وأباحت اغتصاب مال غير اليهود وأعراضهم . وهى التى تتولى عملية تدمير الأخلاق فى العالم ونشر الرذيلة والفجور والإباحية والتجسس والإرهاب والحروب والفتن ، وهى التى تعتبر الـكذب والغدر والافتراء من الفضائل .

والصهيونية عريقة فى القدم فهى تمتد من عهد عزرا الكاهن الذى عاد إلى أورشليم فى عهد كورش ملك فارس لبناء هيكل سليمان ، والهيكل فى نظر اليهود رمز لوجود الله : « إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه فى الطريق الذى ترسلهم فيه وصلوا إلى الرب نحو المدينة التى اخترتها والبيت الذى بنيته لاسمك فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم » (١) . وقلب الهيكل قدس الأقداس وقلب قدس الأقداس تابوت العهد الذى قال عنه يشوع بن نون : « هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابر أمامكم فى الأردن » (٢) . ولتابوت العهد عقيدة راسخة فى نفوس اليهود حتى أنه لما « أخذ الفلسطينيون تابوت الله وأدخلوه إلى بيت داجون وأقاموه بقرب داجون » (٣) قالت امرأة فينحاس بن عالى الـكاهن : « زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أخذ » (٤) .

أسباب مكانة تابوت الله بالنسبة لإسرائيل :

تزعم التوراة أن الله استدعى موسى إليه : « وقال الرب لموسى : اصعد إلى الجبل وكن هناك . فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى

---

(١) ١ مل ٨ : ٤٤ — ٤٥ .
(٢) يشوع ٣ : ١١ .
(٣) ١ صم ٥ : ٢ .
(٤) ١ صم ٤ : ٢٢ .

كتبتها لتعليمهم (١) » ، وقد أطاع موسى أمر الله وبعد أن أنجزت المهمة الربانية : « انصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين . واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين » (٢) . وهنا نظرة التقديس لتابوت العهد ، بل تؤكد التوراة أن الله « أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة . . لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله » (٣) ، « وقال الرب لموسى : اكتب لنفسك هذه الكلمات . لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء . فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر » (٤) . ويلاحظ استمساك الصهيونيين بالعهد الذى قطعه الله مع موسى ومع إسرائيل من هـــذا السند سالف الذكر ، حيث أن العهد الذى أعطاه الله لإبراهيم عهد شامل يشمل ذريته سواء كانوا من نسل إسماعيل أو من نسل إسحق : « فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هـذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » (٥) . ويصبح موسى بالنسبة إليهم رائداً للصهيونية : « فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراه فى كتاب إلى تمامها ، أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم » (٦) .

---

(١) خروج ٢٤ : ١٢ .
(٢) خروج ٣٢ : ١٥ ـ ١٦ .
(٣) خروج ٣١ : ١٨ .
(٤) خروج ٣٤ : ٢٧ ـ ٢٨ .
(٥) تكوين ١٥ : ٨١ .
(٦) تثنية : ٣١ : ٢٤ ـ ٢٦ .

ما الذى يحتويه تابوت العهد ؟

تقرر التوراة أمراً للعزة الإلهية لموسى عليه السلام بالقول : « وتضع فى التابوت الشهادة التى أعطيك » (١) ، ففعل موسى بحسب كل ما أمره الرب ، « وأخذ الشهادة وجعلها فى التابوت » (٢) ، حتى أن سليمان الملك لما أراد أن يضع تابوت الله فى مكانه من الهيكل فى قدس الأقداس يقرر أنه قد « أدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه فى محراب البيت فى قدس الأقداس إلى تحت جناحى الكروبين . . ولم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر » (٣) .

المبادىء التى عاش لها الصهيونيون :

أوصى الله موسى بأن يحذر شعب إسرائيل بقوله : « والنفس التى تلتفت إلى الجان وإلى التوابع لتزنى وراءهم أجعل وجهى ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها ، فتتقدسون وتكونون قديسين لأنى أنا الرب إلهكم وتحفظون فرائضى وتعملونها . أنا الرب مقدسكم » (٤) . ويأمرهم : « لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالامنحوتا أونصبا . ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له ، لأنى أنا الرب إلهكم . سبوتى تحفظون ومقدسى تهابون أنا الرب » (٥) . فإذا ما قام بنو إسرائيل بإنجاز هذه الأوامر وطاعة الله فإن الله كما تزعم التوراة يحارب عنهم « لأنه إذا حفظتم جميع هذه الوصايا التى أنا أوصيكم بها لتعملوها . لتحبوا الرب

---

(١) خروج ٢٥ : ١٦ .
(٢) خروج ٤٠ : ٢٠ .
(٣) ١ مل ٨ : ٦ — ٩ .
(٤) لاويون ٢٠ : ٦ — ٧ .
(٥) لاويون ٢٦ : ١ — ٢ .

إلهكم ، وتسلكوا فى جميع طرقه وتلتصقوا به يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوبا أكبر وأعظم منكم . كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم . من البرية ولبنان . من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربى يكون تخمكم . لا يقف إنسان فى وجهكم . الرب يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التى تدوسونها كما كلمكم » (١) . ومن هذه المزاعم يقود يشوع بن نون خليفة موسى بنى إسرائيل ويقول لهم على لسان الله : « فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم . لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك » (٢) .

واستمسك اليهود بهذه المزاعم ونسوا قول موسى : « إذا ولدتم أولادا وأولاد أولاد وأطلتم الزمان فى الأرض وفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتا صورة شىء ما وفعلتم الشر فى عينى الرب إلهكم لإغاظته ، أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا عن الأرض التى أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لامحالة ويبددكم الرب فى الشعوب فتبقون عدداً قليلا بين الأمم التى يسوقكم الرب إليها » (٣) .

هذه هى الصهيونية التى رسمتها المزاعم الواردة فى التوراة والتلمود . ويؤرخ للصهيونية اليهودى إيلى ليفى أبوعسل فيقول : « نحن إذا أنعمنا النظر جيداً نرى أن تاريخ الصهيونية تناول أربعة أزمنة مختلفة :

---

(١) تثنية ١١ : ٢٢ — ٢٥ .

(٢) يشوع ١ : ٢ — ٥ .

(٣) التثنية ٤ : ٢٥ — ٢٧ .

الأول زمن موسى عليه السلام ، زمن التوراة .

والثانى زمن عزرا الكاهن ، زمن إعادة بناء الهيكل .

والثالث زمن المكابيين حتى عصر هرتزل ، زمن التلمود .

والرابع الزمن المعاصر لهرتزل والذى يبتدىء من سنة ١٩٠٤ إلى آخر سنة ١٩١٨ والذى أعطوا فيه تصريح بلفور » (١) .

ويستطرد الكاتب فيقول : « إن موسى كما تقدم الإلماع عنه كان أول من شيد صرح الصهيونية ووطد دعائمها ونشر مبادئها السياسية ، وقد أثبت لنا الواقع أن الصهيونية ليست فى عهدنا هذا سوى حلقة من سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض اتصالا مستمسكا وثيقا ومتواثقة أجزاؤها تماسكا محكما شديدا » (٢) .

أما أخطر ما تمخضت عنه حركة هرتزل الصهيونية فهو المقررات السرية لمؤتمر بال تلك التى سميت بمقررات حكماء صهيون .

مقررات حكماء صهيون

Protocols of ELders of Zion

ولم تبق مقررات حكماء صهيون سراً لأن نسخة منها تسربت إلى مراسل جريدة المورننج بوست اللندنية فى روسيا فى أوائل القرن العشرين وقام بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية جورج سكوت فى كتابه « الحكومة السرية فى بريطانيا » .

وقامت قيامة اليهود وحاربوا الجريدة وجمعوا نسخ الكتاب وأحرقوها . بيد أن الخطة كانت قد انكشفت والمقررات المجرمة قد عرفت

(١) يقظة العالم اليهودى — إيلى ليفى أبو عسل — مطبعة النظام بمصر سنة ١٩٣٤ — ص ١٦ .

(٢) يقظة العالم اليهودى — إيلى ليفى أبو عسل — مطبعة النظام بمصر سنة ١٩٣٤ — ص ١٨ .

للعالم بأسره واعترف بها بعض اليهود الذين طردوا من صفوف بنى قومهم مثل المحامى هنرى كلين الذى نشر فى جريدته « صوت المرأة » فى شيكاغو سنة ١٩٤٥ كلمة قال فيها :

« إن البروتوكولات — وهى الخطة التى وضعت للسيطرة على العالم — أمر حقيق وإن زعماء الصهيونية يكونون مجلس سانهدرين الأعلى الذى يرمى إلى السيطرة على حكومات العالم ، وقد طردنى اليهود من صفوفهم لأنى أنكرت عليهم خططهم الشريرة » (١) .

وأشار القاضى أرمسترونج من مدينة تكساس فى كتابه « الخونة » طبعة ١٩٤٨ ، إلى مؤتمر الصهيونيين الذى عقد فى بال سنة ١٨٩٧ فقال :

« إن فكرة قيـــام عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة ، ويتبعها إمبراطورية صهيونية عالمية قد طرحت بهذا الترتيب الزمنى على بساط البحث فى المؤتمر الصهيونى الذى انعقد فى مدينة بال عام ١٨٩٧ م . لقد أعلن الصهيونيون المجتمعون فى هذا المؤتمر أن هدفهم يرمى إلى إخضاع الشعوب المسيحية فى العالم ، وتأسيس إمبراطورية صهيونية يرأسها ملك ، يكون إمبراطورا على العالم كله ، وتكشف الخطة عن فكرتهم فى الغزو والفتح ، وقد كانوا يتبجحون فى هذا المؤتمر قائلين إنهم قادرون على فرض سيطرتهم على الصحافة وعلى الذهب فى العالم » (٢) .

وفى البلاد العربية ، كانت أول ترجمة لمقررات حكماء صهيون تلك التى قام بها الأستاذ محمد خليفة التونسى ونشرتها دار الكتاب العربى سنة ١٩٥١ م ، وترجمة أخرى قام بها الأستاذ سيد أحمد حامد الفقى سنة ١٩٥١ م وطبعت فى مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

---

(١) الحكومة السرية فى بريطانيا لجورج سكوت — دار الكتاب العربى ١٩٥٧ .
(٢) الحكومة السرية فى بريطانيا لجورج سكوت ص ١٧ .

روح المقررات (١) :

١ — « إن جواز المرور لدينا هو القوة والكذب والادعاء . إن حقنا في قوتنا . لاعيب ولاعار فى أن تكون جاسوسا أو دساسا بل هذه فضيلة » .

٢ — « الحرية لدينا هى حق الإقدام على ما تسمح به القوانين ، وسنسيطر على جميع الحريات ما دامت تلك القوانين ستمحو ما نطلب إلغاءه ، أو تقيم وتخلق من الحريات ما يكون حسب هوانا ، وفق مشيئتنا » .

٣ — « لقد عبثت أيدينا فى التشريعات وفى سن القوانين وتنفيذها ، وتدخلنا فى شئون الانتخاب ، وفى الصحافة وأداة النشر ، وفى توجيهها والسيطرة عليها » .

٤ — « يجب أن يكون واضحا تماما لنا نحن اليهود مدى ذلك الانحلال والتفكك الخطير الذى تنشره الشيوعية فى أذهان الجنتايلز Gentiles أى الشعوب الكافرة غير اليهودية » .

وبهذا المبدأ الخطير فإنهم سيطروا على جميع الأحزاب والحكومات الشيوعية والاشتراكية والديمقراطية بواسطة أسر : بليشيا وصموئيل وساسون فى بريطانيا ، ومورجانتو ، وبركنز ، وفرانكفورتر ، وباروخ فى أمريكا ، وبلوم ، وماندل ، وزيس ، ودنينز ، وزيروميسكى فى فرنسا ، وابشتاين ، وهيمان فى بلجيكا ، وزامورا وأزاناس وروزنبرج فى أسبانيا ، وكاجانوفيتش ، وليتفينوف وكاراجانز وتروتسكى فى روسيا (٢) .

٥ — « لقد صرخت الشعوب فى ضجيج مزعج منادية بضرورة إنهاء مشكلة الاشتراكية عن طريق اتفاق دولى ، وقد أسلمهم الانقسام فى

(١) Protocols of the Learned Elders of Zion, Britons pub. Society. 1922 .

(٢) The Key to the mystery - Christian Nationalist Missori 1938.

أحزاب سياسية إلى الوقوع فى قبضتنا . لأنه إذا أريد المضى فى تنافس أو نضال فلا بد من الاستعانة بالمال ، والمال كله فى أيدينا نحن فقط ، وفى هذه الحالة تصبح قوى الشعب العمياء عونا لنا حيث نغدو نحن ، لاغيرنا ، فى موقف يجعلنا نفرض عليهم قائداً لهم يوجههم فى الطريق المؤدى إلى هدفنا » .

ولم ينقض القرن التاسع عشر ويدخل العالم فى بداية القرن العشرين حتى كان اليهود يسيطرون على مصادر الذهب فى جميع أنحاء العالم ومعظم البنوك فى بلدان أوروبا وأمريكا ، وخاصة بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، بواسطة آل روتشيلد الذين انتشروا فى تلك البلدان ، وبواسطة أصحاب الملايين أمثال : ما ندلسون ، باروخ ، فرانكفورتر ، لازارد ، شيـــف ، مورجانتو ، جافت ، سليجمان ، شتراوس ، روكفلر . ويسيطرون على إصدار النقد فى كل الدول الأوروبية الكبرى والولايات المتحدة بواسطة البنوك المركزية التى يملكون معظم أسهمها .

٦ — « إن الحاجة اليومية إلى الخبز تضطر الجنتايلز Gentiles إلى السكوت والرضوخ والرضا وإلى أن يكونوا خدما لنا ، أذلاء خاضعين فى استسلام » .

٧ — « إن خطباءنا سيباشرون مهمة تفسير المشكلات الكبرى وتأويلها حسب هوانا ، تلك المشكلات التى قلبت الإنسانية رأسا على عقب ، تأويلا تخضع معه الإنسانية لحكمنا الصالح المتسامح » .

٨ — « الصحافة كلها وجميع وسائل الإعلام ، واقعة تحت سيطرتنا . والأدب والصحافة قوتان فى طليعة القوى التوجيهية الهامة ، وبذلك يجب أن تصبح حكومتنا مالكة للجزء الأعظم من الصحف » .

جاء فى نشرة شهرية أصدرتها جمعية نشر المسيحية بين اليهود بتاريخ إبريل ١٨٤٦ أى قبل أكثر من ١٢٠ سنة ما يلى :

« إن الصحافة اليومية السياسية فى أوربا واقعة إلى حد كبير تحت سيطرة اليهود . وإذا حاول أديب ما أن يجازف ويسعى للوقوف فى طريق اليهود للاستيلاء على القوى السياسية فإنه سرعان ما يتعرض لهجوم إثر هجوم من قبل الصحف الرئيسية فى أوربا » (١) .

ومن تقرير هذه النشرة يتبين أنهم سيطروا على الصحافة وجميع وسائل الإعلام من إذاعة ودور سينما ودور نشر وتليفزيون ومكتبات عامة وكذلك دور الطباعة ومصادر الإعلان .

٩ — « لقد حفرنا هوة سحيقة بين السلطات الحاكمة البصيرة وبين قوى الشعب العمياء ، ففقد الاثنان بذلك معنى وجودهما وصارا كالأعمى وعصاه لا يساوى كل منهما شيئا على انفراد » .

١٠ — « واليوم نستطيع أن نذكركم أننا قد أصبحنا قيد خطوات من هدفنا ، ولم يبق أمامنا إلا شوط قصير نقطعه . وحينئذ نصبح بعد هذا الطريق الطويل الذى عبرناه ، على استعداد لانطباق طرفى الحية الرمزية التى شبهنا بها شعبنا . وعند إغلاق هذه الحلقة تكون كل أوربا قد وقعت فى قبضة قوية لفكى كماشة حديدية قاسية » .

١١ — « إن المستبدين والدكتاتوريين يهمسون فى آذان الشعوب على لسان أعوانهم ودعائمهم أنهم ينزلون الضرر بدولاب الحكم لهدف هام ، هو ضمان سعادة شعوبهم ، ومن أجل تحقيق الحياة الرغدة لهم ، ومن أجل الأخوة العالمية بين البشر جميعاً ، وأنهم إنما يعملون من أجل العدالة والمساواة

---

(١) Jewish press - Control - the Britons patriotic Society 1937.

بينهم فى الحقوق والواجبات ، ولكنهم بالطبع لا يذكرون لهذه الشعوب أن هذه الوحدة العالمية التى يقصدون إليها يجب أن تتم عن طريقنا نحن وتحت سيادتنا المطلقة وسلطاتنا الكلية . وبفضل هذا الحال فإن الشعوب الجنتايلز Gentiles تقوم بنفسها بتحطيم كل نوع من أنواع الثبات والاستقرار فى الوقت الذى تثير فيه الغموض وتنشر الارتباك فى كل خطوة تخطوها » .

وبفضل هذا المبدأ مولوا معظم الحروب الأهلية والثورات التى حدثت فى روسيا وأسبانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ، ومولوا الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وخرجوا من جميع تلك الكوارث والنكبات الكونية رابحين .

١٢ — « إذا رفعت أى دولة احتجاجاً ضدنا ، فإنه يكون احتجاجاً صورياً ، تقدمه إلينا هذه الدولة بإرشادنا وبتدبيرنا لأن حركتهم التى تقوم ضد السامية لاغنى لنا عنها فى مداورة إخوتنا الصغار » .

ما إن قرر المؤتمر السورى المنعقد فى دمشق يوم ٧ مارس سنة ١٩٢٠ استقلال سورية بحدودها الطبيعية « أى فلسطين وسوريا ولبنان » حتى دُعى مجلس الحلفاء الأعلى للاجتماع فى سان ريمو بإيطاليا وقرر فى « نيسان » ابريل سنة ١٩٢٠ وضع البلاد العربية تحت الانتدابين الفرنسى والإنجليزى : فتوضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى كما توضع فلسطين والعراق وشرقى نهر الأردن تحت الانتداب الإنجليزى مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور . ولتنفيذ وعد بلفور عينت بريطانيا أول مفوض سام لها فى فلسطين من اليهود الصهيونيين المتعصبين وهو « هربرت صموئيل » الذى عمل على تحقيق أحلام الصهيونية بخلق دولة إسرائيل فى أرض فلسطين .

١٣ — « لا تتفق القوة مع الحق حتى ولا مع حق السماء » .

١٤ — « إن حرية الصحافة ، وحرية الاجتماع ، وحرية العقيدة ، وقاعدة الحكم ، وغيرها يجب أن تختفى إلى الأبد ، وتمحى من ذاكرة الإنسان » .

١٥ — « إن قوتنا ، إنما هى فى سوء التغذية المزمن لأجسام الجنتايلز Gentiles وفى ضعفهم البدنى الدائم » .

١٦ — « إن دولاب الأعمال المختلفة فى كافة الحكومات يسير بقوة الآلة التى نديرها بأنفسنا وهذه الآلة هى الذهب » .

١٧ — « إننا نملك بين أيدينا أعظم قوة فى هذا العصر ، وهى الذهب » .

وكان من سيطرتهم على الذهب أنهم اشتروا أسهم شركتين لأخطر طريقين بحريين فى العالم وهما قناة السويس وقناة بنما . وفى صفقة واحدة دفع روتشيلد ورفيقه سليجمان ١٥٠ مليون دولار ثمنا لأسهم فى شركة بنما سنة ١٨٧٩[١] .

١٨ — « يجب أن تكون الصحافة تافهة كاذبة بعيدة عن الحق . إنها تعمل لتحريض وإثارة المشاعر التى نحن فى حاجة إليها من أجل أهدافنا . لا يمكن أن يصل إعلان إلى الجمهور دون أن يمر على رقابتنا » .

وبتاريخ يوليو ١٨٧٩م قالت صحيفة The Graphic اللندنية مامعناه : « إن صحافة القارة واقعة إلى حد كبير تحت سيطرة اليهود » . وفى سنة ١٨٥٥ م اشترى اليهوديان موزس ليفى ، وليفى لاوش جريدة الديلى تلغراف اللندنية وسارت الجريدة على خطة التايمز فى خدمة اليهودية العالمية ، ولم تخرج عن الخطة قيد شعرة . وعن طريق الصحافة اليهودية البريطانية والدعاية التى تروجها وصل عدد كبير من اليهود إلى مجلس العموم البريطانى وإلى مجلس اللوردات والمجالس البلدية والجمعيات الخيرية .

---

(١) دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٤٠ .

ومنذ بدأ التغلغل اليهودى فى الحياة الفرنسية ، اتجه اليهود إلى العصب الخطير فى الدولة ، اتجهوا إلى الصحافة كما فعلوا فى بريطانيا . وبمساعدة المليونير روتشيلد أسهموا فى جميع الصحف الفرنسية وفرضوا عليها رؤساء التحرير والمحررين المسئولين عن الشئون السياسية والاقتصادية . واستطاعت الصحافة الفرنسية اليهودية أن تجعل من البطل الفرنسى بيتان خائنا وأن تجعل من بلوم ومنديس فرانس وسوستيل وغيرهم ، رؤساء وزارات ووزراء يوجهون سياسة فرنسا .

١٩ — « لقد ذكر الأنبياء أن الله اختارنا بنفسه لنحكم العالم كله ، ولهذا أمدنا بنوع من النبوغ يتفق مع مهمتنا هذه وينسجم معها » .

٢٠ — « أمامنا الآن بضع سنوات قليلة لتحل اللحظة التى يتم فيها تحطيم الديانة المسيحية تحطيما كاملا » .

٢١ — « علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين » .

٢٢ — « يجب ألا نتردد لحظة فى أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدم أغراضنا » .

٢٣ — « إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقى بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد » .

ولا أدل على ذلك من التآمر الأمبريالى الصهيونى على فلسطين أثناء نظر القضية أمام هيئة الأمم المتحدة فى الفترة من ١٩٤٧ — ١٩٤٨ إذ أبرق سول بلوم عضو الكونجرس إلى ترومان يقول : « إن على الولايات المتحدة أن تعترف بالدولة اليهودية الجديدة ، وبذلك تساعد على منع نفوذ السوفيات من التغلغل إلى فلسطين والشرق الأوسط » .

وأعلن الدكتور حايم وايزمان الصهيونى الخطير قبل أيام معدودة من جلاء قوات الانتداب عن فلسطين ما نصه : « لقد تمكنت من توطيد

علاقاتنا بأصدقائنا فى واشنطن وتأكدت أنه سيتم الاعتراف بالدولة اليهودية فى اللحظة التى يعلن فيها عن إنشائها ».

وفى ١٣ أيار « مايو » سنة ١٩٤٨ كتب وايزمان رسالة خاصة إلى ترومان يطلب فيها « أن تعترف الولايات المتحدة حالا بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة ».

٢٤ — « نحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التى يؤججها الضيق والفقر ، وهذه المشاعر هى وسائلنا التى نكتسح بها كل الذين يصدوننا عن سبيلنا ».

٢٥ — « عندما نصل إلى مملكتنا يصبح من غير المرغوب فيه لدينا وجود عقيدة غير عقيدتنا ، وعلى ذلك يتعين علينا أن نكتسح جميع العقائد والأديان الأخرى . وإذا كان هـــذا يؤدى إلى وجود ملحدين ينكرون وجود الله فإن هذا مما لا يتعارض مع وجهة نظرنا ، ويعتبر فى ذاته مرحلة تطور وانتقال ».

وقد كانت نقمة اليهود على روسيا القيصرية عظيمة لأنها كانت فى نظر اليهود الركن المكين للمسيحية ، ولأن روسيا لم تهضم تغلغل اليهودية العالمية فى الكيان الروسى ، ولم تسمح بسيطرة اليهود والصهيونية على مقدرات الشعب الروسى ، كما لم تحل دون عمليات القمع الانتقامية التى كانت توجه لليهود كلما تسببوا فى تدمير اقتصاد بلد من بلدان روسيا .

وقررت الحكومة اليهودية المستورة أن تدمر المسيحية فى روسيا وأن تنتقم من الشعب الروسى الذى كان يحتقر اليهود ويضطهدهم . فكانت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ ، وكان من ورائها قولا وعملا وتمويلا وتخطيطا عتاة اليهود من أمثال تروتسكى Trotsky ، سفرديلوف Sverdlov كاميليف Kamenev ، سوكولنكوف Sokolnikoff ، أورتسكى Uritsky ،

لتفينوف Litvinoff ، وزينوفيف Zinoviev ، رادك Radek وكاجانوفتش Kaganovitch ، وستالين كان متزوجا من يهودية .

والممولون الرئيسيون للثورة البلشفية كانوا من اليهود أمثال : ماكس واربرج Warburg وشقيقه بول Paul ، وهما من الشركة اليهودية الأمريكية في نيويورك Kuln Loeb & Co. ، وكراسن Krassin وفيرزتنبرج Furstenberg .

٢٦ — « لقد خدعنا الجيل الناشيء من الجنتايلز Gentiles وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها التام » .

ما إن جاء القرن العشرين حتى سيطر اليهود فى أغلب دول أوربا وأمريكا على صناعة الأفلام وتوجيهها للغاية المنشودة وهى تحطيم الأخلاق والأديان والفضائل عند الشعوب ، وكذلك سيطروا على تجارة الأفيون والحشيش والكوكايين بواسطة آل ساسون . واستمرت حرب اليهود ضد المسيحية والمسيحيين على مر الزمن باللجوء إلى الحرب الأدبية مستخدمين نفوذهم المالى فى العالم لنشر الكتب التى تصدرها دار « سيمون وشوستر » منها كتاب بعنوان « التجربة الأخيرة للمسيح » يهاجم المسيحية ويتطاول على السيد المسيح والسيدة العذراء ، وقد اقتبست مجلة لبنانية (١) بعض ما فى الكتب اليهودية القذرة عن السيد المسيح ، ففى صفحة ٨٦ من كتاب « التجربة الأخيرة للمسيح » : « كانت المجدلية مستلقية على ظهرها فى الفراش عارية تماما مبللة بالعرق ، وشعرها الأسود الفاحم منشور على وسادتها ويداها متشابكتان تحت رأسها . . لقد كانت تضاجع الرجال منذ الفجر فكانت منهوكة القوى وكان شعرها وكل جزء من جسدها تفوح منه رائحة جميع الأمم » . وفى الصفحة ٤٥٠ : « أمسك بها يسوع وطبع على فمها قبلة ملتهبة . . وامتقع لونهما واصطكت ركبها . فتساقطا تحت شجرة ليمون

---

(١) مجلة الصياد عدد ١٩/١٢/١٩٦٣ بيروت .

مزهرة ، وبدآ يتدحرجان على الأرض . طلعت الشمس ووقفت فوقها ، وهب نسيم عليل أسقط أزهار الليمون على جسديها العاريين . وضمت المجدلية يسوع إليها وألصقت جسده بجسدها الملتهب » .

٢٧ — « إن الجنتايلز Gentiles كقطيع من الغنم ونحن ذئاب » .

٢٨ — « اليوم تسود حرية العقيدة فى كل مكان ، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بددا انهيارا تاما ، وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى . سنقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جداً من الحياة وسيكون تأثيرهم وبيلا سيئا على الناس حتى إن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذى جرت العادة أن يكون عليه » .

٢٩ — « إن المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالم فى غفلة كقناع لأغراضنا ، والمسيحيون فى خستهم الفاحشة يساعدوننا على استقلالنا . يجب علينا أن نحطم كل عقائد . الإيمان وتكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمار ملحدين » (١) .

٢ — الجمعيات اليهودية العالمية

(ا) الماسونية Freemasonry

(ب) جمعية بناى برث « أبناء العهد » B'nai B'rith

١ — الماسونية (٢) Freemasonry :

جمعية سرية يهودية يرجع تاريخها القديم إلى أيام اليهود الأولى ، ويقول البعض إن موسى نبى اليهود الأول كان أستاذا أعظم ، قاد اليهود

---

(١) راجع : الخطر الصهيونى للأستاذ محمد خليفة التونسى ، والحكومة السرية فى بريطانيا ترجمة دار النصر ، وإسرائيل بنت بريطانيا البكر للأستاذ محمد على الزغبى ، والصهيونية العالمية للأستاذ عباس العقاد ، والصهيونية سافرة تقديم السيد سيد أحمد حامد الفق .

(٢) Encyclopaedia Britanica — نقلا عن كتاب خطر الصهيونية العالمية على الإسلام والمسيحية ، عبد الله التل ، بتصريح خاص .

يمثلوا فى تيههم المحفل الماسونى ، وإن سليمان كان أستاذا أعظم لمحفل القدس .

ولقد مرت الماسونية بمراحل عديدة تهمنا منها مرحلة القرن الثامن عشر الذى شهد مع القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تطور النفوذ اليهودى وتغلغل سلطان اليهود عن طريق الماسونية فى جميع الحكومات الأوروبية والأمريكية .

والماسونية تجد مكانا خصبا لدى الطائفة الإنجيلية ، ويقول ألفريد ليلينتال فى كتابه « ثمن إسرائيل » : « ولقد لعب العامل الدينى دورا هاما فى إقرار التقسيم وخاصة لدى الطائفة الإنجيلية المستمدة تعاليمها عن التوراة ، وكان هذا العامل من جملة العوامل التى حملت إيرل بلفور ، والجنرال سمطس على تأييد إقامة وطن قومى يهودى فى الأراضى المقدسة » .

ولقد كان للعبارة « العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » ، الواردة فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين أثرها الكبير فى معركة التقسيم ، وجنوح هيئة الأمم المتحدة عن ميثاقها وعن العدالة وعن الحقوق الدولية منساقة إلى العاطفة الدينية ، وفى الخطاب الذى ألقاه الحاخام « سيلفر » أمام اللجنة الخاصة شدد على هذه العبارة « العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » واستند إليها فى مطالبته بإنشاء الوطن القومى . وفى سنة ١٧١٧ م أعاد اليهود النظر فى تعاليم الماسونية ورموزها وغيروا فيها لتناسب الجو البروتستانتى فى بريطانيا والولايات المتحدة ، وأسسوا فى ذلك العام محفل بريطانيا الأعظم ، وأطلقوا على أنفسهم اسم البنائين الأحرار بعد أن كانوا فيما سبق يحملون اسم « القوة المستورة » . وجعلوا من أهداف الماسونية الخادعة : الحرية ـ الإخاء ـ المساواة ، وهى أهداف زائفة لأن الماسونية لا هدف لها إلا خدمة اليهودية العالمية وتأمين سيطرتها على العالم .

ثم مالبث المحفل الماسونى الأعظم فى بريطانيا أن كشف عن بعض نواياه حين جعل من أهداف الماسونية (١) :

١ — المحافظة على اليهودية .

٢ — محاربة الأديان بصورة عامة والكثلكة بصورة خاصة .

٣ — بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب .

ومن بريطانيا — وفى الفترة من سنة ١٧٣٢ إلى سنة ١٧٧٣ فى مدى أربعين سنة — انبثق بإشراف محفل بريطانيا الأعظم محافل ماسونية عظمى فى عواصم أوروبا . وتأسس محفل ماسونى سنة ١٧٣٣ فى بوسطن ومن قبلها فى نيويورك ، ولم يأت عام ١٩١٧ حتى كان عدد المحافل العظمى فى الولايات المتحدة الأمريكية قد تجاوز الخمسين محفلا ينضوى تحت لوائها آلاف المحافل العادية وينخرط فى عضويتها أكثر من مليون أمريكى(٢) .

ومن بريطانيا كذلك بإشراف محفلها الأعظم تأسست محافل الماسون فى البلاد الواقعة تحت نفوذها فى أمريكا « كندا ونيوزيلند » وفى إفريقيا « مصر » وفى آسيا « الهند » والشرق الأوسط سنة ١٧٥٢ . ثم قارة أستراليا . وأصبح محفل بريطانيا الأعظم بالنسبة للمحافل المنبثقة منه كأرض فلسطين فى قدسيتها بالنسبة لليهود ومقامهم هيكل سليمان ، وللمسيحيين ومقامهم كنيسة القيامة ، وللمسلمين ومقامهم المسجد الأقصى ثانى الحرمين .

وللماسونية مراحل ثلاث : ابتدائية رمزية ، ومتوسطة ملوكية ، وكونية تضم حكماء إسرائيل الذين يتصرفون بالمحافل الصغرى لمصلحة اليهود . ولها قسم تبدأ صيغته للمبتدىء :

---

(١) الماسونية منشئة ملك إسرائيل — محمد على الزغبى — مكتبة العرفان بيروت ١٩٥٦ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britanica .

« أقسم بمهندس الكون الأعظم إننى لا أفشى أسرار الماسونية ، ولا علاماتها ، ولا أقوالها ، ولا تعاليمها ، ولاعاداتها ، وأن أصونها مكتومة على صدرى إلى الأبد » .

وبعد أن يتدرج الماسونى فى الرتب الماسونية وينال ثقة رؤسائه تبدأ عملية تدمير شخصيته وفصله عن مجتمعه وأسرته ، وتحطيم الروابط المقدسة التى تربطه بوالديه وبأسرته وعشيرته وحكومته ووطنه ، فيكون القسم على الشكل التالى :

« أقسم على أن أقطع كل الروابط التى تربطنى بكل إنسان ، كالأب والأم والإخوة والأخوات ، والزوج والأقارب والأصدقاء والملك والرؤساء وكل من حلفت له بالأمانة والطاعة ، وعاهدته على الشكر والخدمة » (١) . إن عملية تدمير الشخصية هى التى كان يعنيها المسيح فى شرط الموافقة على المريد إذ قال : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا . فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها ، وأعداء الإنسان أهل بيته من أحب أبا أوأما أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب ابنا أوابنة أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ، من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » (٢) . وما وصلنا من معلومات إنماهى آراء الغرب فيها ، فقد قال اليهودى Piccolo Tiger رئيس جمعية Haute Vente Romaine السرية بتاريخ ١٨/١/١٨٢٢ :

« ترغب جمعية هوت فنت بأى وسيلة أن يلتحق أكبر عدد ممكن من الأمراء بالماسونية وإن الأمراء من ذوى الدم الملكى يطرون طموحهم

(١) Encyclopaedia Britanica .

(٢) إنجيل متى ١٠ : ٣٤ — ٣٩ .

للشهرة .. أعدوهم للماسونية الأوروبية عندها تقوم « الهوت فنت » Haute Vente بعمل المستطاع لتكون مفيدة فى هذا المجال . سيعمل الأمراء مؤقتا على اجتذاب المعتوهين والمتآمرين والغشاشين والعاطلين عن العمل . وهؤلاء الأمراء المساكين يخدمون قضيتنا من حيث يظنون أنهم يخدمون أنفسهم . إنها لخدعة كبرى ، ولسوف نجد دائماً الكثيرين ممن يرغبون فى زج أنفسهم بمؤامرات يظن كل أمير أنه الرابح من ورائها » .

ومن أغرب ما سطره التاريخ ، أن الماسونية اليهودية التى روجت للمبادىء الشيوعية ، ثم قامت بالانقلاب الشيوعى فى شرق أوربا ، هى رأسمالية محضة فى غرب أوربا ويحمل لواءها اللورد روتشيلد اليهودى وأمثاله .

إن يهود روسيا يعترفون صراحة بأنهم أشعلوا الثورة الروسية ويفاخرون بما صنعوا . وجاء فى مقال لإسرائيلى يدعى م . كوهين :

« يمكن القول بلا مبالغة إن الثورة الروسية الكبرى كانت من عمل اليهود ، وإن هؤلاء اليهود لم يقوموا بهذا العمل فحسب ، وإنما تولوا رعاية المذهب السوفيتى . ويمكننا أن نطمئن نحن اليهود ما دامت إدارة الجيش الأحمر العليا فى يدى ليون تروتسكى » (١) .

ومن هذا يتضح أن الماسونية اليهودية كانت ذات وجهين ، فهى لروسيا شيوعية مخربة .. وهى للغرب ولأمريكا رأسمالية صهيونية . ولم يكن ذلك إلا تنفيذاً لقرارات حكماء صهيون ، وهى تنص على أن يكون

---

(١) انظر المقال فى كتاب الخطر الصهيونى بالفرنسية بقلم الأب جوان .

للماسونية فى كل بلد نظام خاص ، وأساليب خاصة ، كى تصل إلى تقويض العالم وإقامة دولة اليهود العالمية .

وفى سنة ١٩٢٨ قالت المجلة اليهودية Le Symbolisme عدد يوليو : « إن أعظم واجب للماسونى الأوربى هو تمجيد الجنس الذى حافظ على المستوى الكهنوتى للحكمة » .

وقالت دائرة معارف الماسونية الصادرة فى فيلادلفيا سنة ١٩٠٦ : « يجب أن يكون كل محفل رمزا لهيكل اليهود وهو بالفعل كذلك وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلا لملك اليهود ، وكل ماسونى تجسيدا للعامل اليهودى » .

وذكرت دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٠٣ الجزء الخامس صفحة ٥٠٣ أن اللغة الفنية والرموز والطقوس التى تمارسها الماسونية الأوربية ملأى بالمثل والاصطلاحات اليهودية ، ففى محفل سكوتلندا نجد التواريخ الموضوعة على المراسلات والوثائق الرسمية ، كلها بحسب تقويم العصر والأشهر اليهودية وتستعمل كذلك الأبجدية العبرية » . وتنص تعاليم الماسونية السرية على تقديس الجنس والحرية التامة لنشر الإباحية (١) .

« إن أمنيتنا هى تنظيم جماعة من الناس يكونون أحراراً جنسيا ، نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية » ، وفى هذه الأيام التى تسود فيها المدنية المسيحية نجد صعوبات جمة ، ولكن البداية قد رسمت فعلا ، ومهما تكن صغيرة إلا أنها ناجحة ، وعلى نطاق واسع ، لا بد من النصر المحقق إذا استطعنا أن نغذى الشباب منذ سنوات أعمارهم الأولى ، بأسس هذه الآداب الجديدة ، على الشباب أن يدركوا منذ ولادتهم أن أعضاء التناسل مقدسة » (٢) .

---

(١) Freemasonry - Arnold leese London 1935 .

(٢) لقد نجحوا فى ذلك وأسسوا نوادى العراة فى دول أوربية كثيرة ، وينشرون اليوم فكرة العرى فى جميع شواطىء أوربا وأمريكا .

وهكذا نجد من اعترافات اليهود أنفسهم أن الماسونية وجدت لخدمة أهداف اليهود الشريرة ، وتسهـيل عملية استيلائهم على عقول القادة والرؤساء وتحطيم نفوسهم وتحويلهم إلى عبيد يؤمنون بالماسونية ويكفرون بالله وبالوطن ، ويتنكرون لأمتهم ويضعون أنفسهم تحت تصرف الماسونية تستخدمهم معاول هـدم فى كيان الشعوب والأوطان والحكومات غير اليهودية .

ب — جمعية بناى برث (١) « أبناء العهد » B'nai B'rith :

أسسها فى ١٨٤٣/١/١٣ يهودى ألمانى من هامبورغ هاجر إلى أمريكا ، وهى فرع من الماسونية العالمية ، وتختلف عنها فى أنها لا تضم إلى محافلها غير اليهود ، واتخذ رئيسها هنرى جونز مدينة نيويورك مقرا للجمعية . ومن نيويورك انتشرت أذرع الأخطبوط اليهودى على شكل محـافل ماسونية يهودية خاصة لا تضم أحداً من الجنتايلز Gentiles الكفار وهم غير اليهود .

وتظاهر المسئولون عن هـذه الجمعية بالبراءة وحب الخير والعمل الإنسانى ، وادعوا ان أهداف الجمعية تتلخص فى مساعدة الضعفاء ومنع الإهانة بسبب الجنس اليهودى والعطف على المضطهدين من جنسهم اليهود . ولكن الأهداف الحقيقية لهذه الجمعية الخطيرة كانت تدور حول دعم الماسونية العالمية ومساندتها فى جميع الخطط الجهنمية التى ترمى إلى سيطرة اليهود على العالم بعد تدمير الأخلاق والحكومات الوطنية والدين .

لقد تأسست فروع لهذه الجمعية فى جميع أنحاء الكرة الأرضية فى أمريكا وأوروبا وبخاصة فرنسا وبريطانيا وألمانيا ، وفى آسيا وأستراليا وإفريقيا . ولم تسلم مصر منها فقد تأسس فيها محفلان سمى أحدهما محفل ماغين دافيد

---

(١) دائرة المعارف البريطانية طبعة سنة ١٩١١ م B'nai B'rith .

رقم ٤٣٦ طبع قانونه باللغة العربية ، والثانى محفل ميمونت رقم ٣٦٥ طبع قانونه باللغة الألمانية ، وكان أخطر محافل هذه الجمعية تلك التى أنشئت فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، ذلك لأنها تغلغلت فى صميم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لهذين البلدين .

وتولت محافل بناى برث التصدى لكل من يتعرض لليهود أو يحاول الكشف عن خططهم وأخلاقهم القذرة . وغدت هذه الجمعية سيفا مصلتا على رقاب الشعب فى بريطانيا وأمريكا وبقية أنحاء أوربا . واستخدمت هذه الجمعية مختلف الوسائل لإسكات الألسن وتحطيم الأقلام لمنعها من التعرض لليهود الذين يعيشون فى بلاد العالم فساداً وتآمراً وتخريبا .

ولم تبق خططها وأهدافها سرية وإنما نشرت على العالم الغربى ، ولكن هيهات للعالم الغربى أن يأخذ حذره ويدفع عن نفسه شر هذه الجمعية ، فقد تغافل عن نشاطها مما جعلها تسهم فى جميع الثورات والحروب التى وقعت فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، فقد ثبت أن هذه الجمعية كانت مع الماسونية العالمية وراء الثورة الفرنسية ، ففى الاجتماع الذى عقد فى ٢٣ / ٨ / ١٧٨٩ لوضع الدستور الجديد كان هناك ٣٠٠ عضو ماسونى ، وفى اجتماع اليهود الذى عقد فى مدينة بال بسويسرة سنة ١٨٩٧ م صرح رئيس الوفد الأمريكى لجمعية بناى برث فى المؤتمر بقوله (١) :

« علينا أن ننشر روح الثورة بين العمال ، وهم الذين سنقذف بهم إلى خطوط دفاع العدو واثقين من أن رغباتهم لا نهاية لها ، ونحن بحاجة ماسة لعدم رضاهم من أجل تخريب المدنية المسيحية والإسراع فى نشر الفوضى ، ولسوف يأتى الوقت الذى يسارع فيه المسيحيون أنفسهم طالبين من اليهود أن يتسلموا السلطة » .

---

(١) Freemasonry – Arnold leese. London .

وكان لهذه الجمعية أصبع فى إشعال الحرب الكونية الأولى متعاونة مع الماسونية والصهيونية ورجال المال من آل روتشيلد . وحينما جاء هتلر للحكم فى سنة ١٩٣٣ م أسهمت هذه الجمعية فى شن الحرب على هتلر وحكمه ، ومهدت بذلك للحرب الكونية التى خسر العالم كله الشيء الكثير من جرائها وربحها اليهود فى النهاية .

أما بالنسبة لوطننا المقدس فلسطين فقد كانت جمعية بناى برث تبذر بذور الشر فيها منذ سنة ١٨٦٥ م ، وفى سنة ١٨٨٨ م ، أنشأت فى فلسطين أول محفل ماسونى للجمعية ، ثم أسهمت فى تأسيس المستعمرات الصغيرة فى فلسطين خالقة بذلك نواة الوطن القومى اليهودى ، وكان من أبرز الشخصيات اليهودية المنتمية لهذه الجمعية فى فلسطين : ناحوم سكولوف ، دزنكوف ، حاييم نخمان ، دافيد يلين ، مائير برلين ، حاييم وايزمان ، جاد فرامكين .

ولم تزل جمعية بناى برث قوة يهودية عاتية تسيطر على مقدرات غربية عديدة وخاصة فى أمريكا وبريطانيا ، ولم تزل سلاحا ماضيا فى يد اليهودية العالمية تستخدمه للسيطرة على العالم . ويكفى أن تعلم أن رئيس هذه الجمعية فيليب كاولزنيك Philip Klulznick قد عين فى عهد الرئيس أيزنهاور رئيساً للوفد الأمريكى لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة (١) ، وأن رؤساء الولايات المتحدة لا يدعون مناسبة يهودية تمر دون أن يشيدوا بالأعمال العظيمة التى تحققها جمعية بناى برث .

ولا ننسى الحديث الذى أدلى به فوستر دالاس فى الحفل الذى أقامه محفل الجمعية الأعظم بتاريخ ٨ مايو ١٩٥٦ والذى جاء فيه :

---

(١) عدد ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ من نشر Gothic Ripples - Arnold leese London .

« إن مدنية الغرب قامت فى أساسها على العقيدة اليهودية فى الطبيعة الروحية للإنسانية ، ولذلك يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدنية التى معقلها إسرائيل » (١) . إن دالاس وأمثاله من البروتستانت المخدوعين يؤمنون بخرافات التوراة — العهد القديم — ويجعلونها أساساً لسياسة بلادهم نحو فلسطين رغم أن هذه السياسة تجر على بلادهم الخراب وتعرضها لأخطار جسيمة .

ولقد قام بنجامين فرانكلين ينبه شعب الولايات المتحدة ويحذرهم من خطر اليهود ، وكان ذلك قبل مأساة فورستال وزير الدفاع الأمريكى بمائة وستين عاما ، فأعلن فى المؤتمر الذى انعقد لإعلان الدستور سنة ١٧٨٩ ما يلى (٢) :

« هنالك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك الخطر هو « اليهودى » .

« أيها السادة حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب ويزعزعون الخلق التجارى الشريف . إنهم لا يندمجون بالشعب . لقد كونوا حكومة داخل الحكومة . وحينما يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون على خنق الأمة ماليا ، كما حدث للبرتغال وأسبانيا . ومنذ أكثر من ١٧٠٠ سنة وهم يندبون مصيرهم المحزن ، لا لشىء إلا ادعاؤهم أنهم طردوا من الوطن الأم . ولكن تأكدوا أيها السادة ، أنه إذا أعاد اليوم إليهم عالمنا المتمدين فلسطين فإنهم سيجدون المبررات الكثيرة لعدم العودة إليها . لماذا ؟

---

(١) أمريكا مستعمرة صهيونية للأستاذ صلاح دسوقى — القاهرة ١٩٥٧ م .

(٢) The nameless War . Capt. Ramsay, London 1952 .

لأنهم من الطفيليات التى لا تعيش على نفسها . إنهم لا يستطيعون العيش فيما بينهم ، إنهم لا بد أن يعيشوا بين المسيحيين و بين الآخرين الذين هم ليسوا من جنسهم .

« إذا لم يستثن اليهود من الهجرة بموجب الدستور ، ففى أقل من ١٠٠ سنة سوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا ويدمروننا ويغيرون شكل الحكومة التى ضحينا وبذلنا لإقامتها دماءنا وحياتنا وأموالنا وحريتنا الفردية .

« إذا لم يستثن اليهود من الهجرة ، فإنه لن يمضى أكثر من ٢٠٠ سنة ليصبح أبناؤنا عمالا فى الحقول لتأمين الغذاء لليهود الذين يجلسون فى بيوتهم المالية مرفهين يفركون أيديهم بغبطة .

« إنى أحذركم أيها السادة ! إذا لم تستثنوا اليهود من الهجرة إلى الأبد ، فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبوركم . إن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال ، والنمر لا يستطيع تغيير لونه . اليهود خطر على هذه البلاد ، وإذا سمح لهم بالدخول فسوف يخربون دستورنا ومنشآتنا . يجب استثناؤهم من الهجرة بموجب الدستور » .

فقد قدر بنجامين فرانكلين هذه المدة بمائتى سنة تنتهى سنة ١٩٨٩ م ، بينما استطاع اليهود أن يهودوا الولايات المتحدة قبل خمسين سنة من هذا التاريخ ، لتصبح سياستها وأسلحتها وعلمها وفنها وأموالها وخيراتها مجندة لخدمة اليهودية العالمية وأدواتها التنفيذية : الماسونية — الصهيونية .

ولا أدل على ذلك من أنه فى صباح ١٤ أيار « مايو » ١٩٤٨ تمكن كلارك كليفورد مستشار الرئيس الأمريكى الخاص ـ والذى كان على اتصال مستمر بزعماء الحزب الديمقراطى وقادة الصهيونية — من إقناع رئيسه ترومان بوجوب القيام بعمل فورى لإنقاذ الحزب الديمقراطى من هزيمة

محققة فى الانتخابات المقبلة ، لاسيما أن قادة الحملات الانتخابية فى الحزب ، أبلغوه أن « مشروع الوصاية » الذى عرضته حكومة واشنطن ، سوف يؤدى بترومان وحزبه إلى فشل ذريع ، وأن هناك ثورة داخلية فى الحزب ضده .

وإزاء هذه التطورات السريعة ، رأى كليفورد أن من الضرورى كسب الأصوات اليهودية مهما كاف الأمر .

وهكذا اختلى ترومان طيلة يوم ١٤ أيار « مايو » بمستشاريه المقربين وبحث معهم الموقف بصورة جدية جديدة ، كما اجتمع إلى فرانك غولدمان رئيس مؤسسة « بناى برث » الصهيونية التى ينتمى إليها صديق ترومان الحميم وشريكه اليهودى القديم « أدى جاكيسون » ، كما أن عضو الكونجرس « سول بلوم » أبرق إلى ترومان يقول : « إن على الولايات المتحدة أن تعترف بالدولة اليهودية الجديدة ، وبذلك تساعد على منع نفوذ السوفيات من التغلغل إلى فلسطين والشرق الأوسط » .

وطيلة ذلك اليوم ظل البيت الأبيض معتصما بالصمت المطبق وحوالى الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر ذلك اليوم استدعى البيت الأبيض إلياهو ابشتاين (وكان فى ذلك الوقت يمثل الوكالة اليهودية بوشنطن ، وهو الذى سمى فيما بعد الياهو أيلات وأصبح السفير الأول لإسرائيل فى الولايات المتحدة) وأبلغه أن حكومة الولايات المتحدة ، قررت أن تعترف اعترافا واقعيا بدولة إسرائيل فور إعلانها ، بشرط أن توجه الدولة الجديدة كتاباً تطلب فيه الاعتراف ، وفى الساعة السادسة تماما حسب توقيت واشنطن (الساعة ١٢ حسب توقيت القاهرة) أعلن نبأ نهاية الانتداب على فلسطين . وفى الساعة السادسة والدقيقة الواحدة ، أعلن قيام دولة إسرائيل الجديدة ، وفى الساعة السادسة وإحدى عشرة

دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الجـــديدة ، فقد دعا تشارلز روس ، الملحق الصحفى فى البيت الأبيض ، رجال الصحافة إلى مكتبه وتلا عليهم قراراً مؤلفا من سطرين ، يتضمن اعتراف الرئيس ترومان بدولة إسرائيل اعترافا واقعيا ، وقد شفع القرار بتمنيات الرئيس الأمريكى للدولة الجديدة ، لإقرار السلام فى تلك الربوع .

ومن العجب العجاب أنه بينما كانت الإدارة الأمريكية فى واشنطن تعترف بسيادة إسرائيل واستقلالها ، كان المندوب الأمريكى فى هيئة الأمم ما يزال يدافع عن مشروع الوصاية على فلسطين !!

٣ ــ عصبة الأمم

League of Nations

وليدة اليهودية العالمية وأدواتها التنفيذية التى من أهمهـــا الماسونية والصهيونية ، لتكون العصبة من وسائلها فى تحقيق السيطرة على العالم ، على أن تكون فلسطين القاعدة الأولى لتلك السيطرة العالمية ، ولقد كشف الميثاق عن هـــذه القوى فأعلنها سافرة : « إن قوى الاستعمار العالمى واحتكاراته تسعى إلى هدف ثابت هو وضع الأرض العربية الممتدة من المحيط إلى الخليج تحت سيطرتها العسكرية حتى تتمكن من مواصلة استغلالها ونهب ثرواتها .

« ولقد وصل التآمر الاستعمارى إلى حـــد انتزاع قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قلب الوطن العربى ، واغتصابها دون ما سند من حق أو قانون لصالح إقامة فاشستية عسكرية لا تعيش إلا بالتهديد العسكرى الذى يستمد أخطاره الحقيقية من كون إسرائيل أداة الاستعمار » .

وقد أورد اليهودى ليتمان روزنتال فى كتابه When prophets speak أن اليهودى ماكس نوردو قال فى المؤتمر الصهيونى السادس المنعقد سنة ١٩٠٣ م ما يلى (١) :

« وسوف يدعى قريبا إلى مؤتمر عالمى . . ودعونى أقول لكم هـــذه الـكلمات كما لو كنت أريكم دعائم السلم الذى يقودنا إلى العلا : هرتزل ، المؤتمر الصهيونى ، مقترحات بريطانيا حول أوغندا ، الحرب العالمية المقبلة ، مؤتمـــر الصلح ، حيث تخلق — بمساعد بريطانيا — فلسطين اليهودية الحرة » .

وجاء فى محاضر مؤتمر المحافل الماسونية العالمية المنعقد فى ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ يونيو ١٩١٧ ، أى قبل أن يفـكر أحد من غير اليهود بتأسيس عصبة الأمم ما يلى :

« إنه من المهم جداً أن نبنى مدينة المستقبل السعيدة . ومن أجل تلك المهمة الماسونية الصادقة دعيتم اليوم . لقد حولنا هذه الحرب إلى نزاع رهيب بين الديمقراطيات المنظمة والقوى العسكرية الجبارة ، لقد تحطمت فى هذا الإعصار القوى القديمة — القياصرة — ولسوف تجرف الرياح رياح الحرية — المزيفة — بقية الحـكومات ، فلا مندوحة إذن من خلق سلطة عالمية عالية ، إن الماسونية صانعة السلام تطرح على بساط البحث موضوع هذه الهيئة الجديدة : عصبة الأمم » (٢) .

وبعد قيام عصبة الأمم قال الزعيم الصهيونى ناحوم سوكولوف فى المؤتمر اليهودى الذى عقد فى كارلسباد بتاريخ ٢٧ من أغسطس ١٩٢٢ ونشرته جريدة نيويورك تايمز فى اليوم التالى :

---

(١) The Key to the mystery, Christian Nationalist Missori 1938.

(٢) The Key to the mystery, Christian Nationalist Missori 1938.

« إن عصبة الأمم فكرة يهودية ، لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة . ستكون القدس يوما ما عاصمة للسلم العالمى . وإن ما حققناه نحن اليهود بعد كفاح ٢٥ سنة يرجع الفضل فيه إلى زعيمنا الخالد تيودور هرتزل » .

وكان أول عمل قامت به عصبة الأمم هو قيام السير إريك درموند Eric Drumond بتوجيه رسالة رسمية إلى الصهيونى الأكبر حاييم وايزمان يؤكد فيها بأن حماية حقوق اليهود ستكون من أهم واجبات عصبة الأمم ، واستطاعت الحكومة اليهودية العالمية تسخير عصبة الأمم لفرض الانتداب البريطانى على فلسطين من أجل تحقيق هدف أساسى واحد هو تنفيذ وعد بلفور وتهويد فلسطين .

وكان الدكتور حاييم وايزمان — وهو روسى المولد والجنسية يهودى الديانة ، تجنس بالجنسية البريطانية — قد اتصل بالزعيم الصهيونى روتشيلد كما اتصل بكبار رجال بريطانيا ، وتمكن بمساعدتهم أن يجذب إليه لويد جورج ، وونستون تشرشل ، وبلفور وغيرهم من المسيحيين الإنجليز ، كما كان معه فى تخطيطه للتآمر على فلسطين كثيرون من العظماء والوزراء البريطانيين مولدا وجنسية واليهود ديانة ، منهم اللورد ريدنج ، وهوربليشا ، والسر هربرت صموئيل ، وكان فى وزارة لويد جورج وزيران يهوديان هما السير الفريد موند والأونورابل إدوين مونتاجو ، كما كان فى المجلس الاستشارى الخاص ستة أعضاء من اليهود .

وسعى هذا النفر القوى فى التمهيد لاستيلاء اليهود على فلسطين ، وكان لليهود فى تلك الأوقات أعضاء فى الوزارة وفى مجلس العموم وفى مجلس اللوردات وكثير من رجال المال والصحافة منهم ، كما كان لهم نفوذ كبير فى الولايات المتحدة الأمريكية وفيها عدد منهم يقدر بالملايين ، وقد تركز

نفوذهم هناك فى المؤسسات المالية والتجارية وسيطروا على الصحف ، وكانت قوتهم تظهر بوضوح فى انتخابات رئاسة جمهورية أمريكا ، وكذلك فى انتخاب حاكم ولاية نيويورك ، وكان نفوذهم ملحوظا فى المحكمة العليا الأمريكية .

فلما سيطر وايزمان وروتشيلد على عقول بعض الوزراء والعظماء فى إنجلترا كان لا بد من وضع صيغة يعلنها « بلفور » ولا يثير ظاهرها مخاوف العرب . . وهنا يعترف وايزمان فى مذكراته بأن المفاوضات بينه وبين الإنجليز قد استمرت زمنا طويلا ، إلى أن تم الاتفاق بوحى من اليهود أنفسهم على وضع الصيغة النهائية التى أعطاها بلفور إلى اللورد روتشيلد فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

وينص وعد بلفور كما نشر فى تقرير اللجنة الملكية لفلسطين على الآتى :
« يسرنى جدا أن أبلغكم عن حكومة جلالته التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود الصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته .

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى » .

ويوضح المستر لويد جورج Lloyd George الظروف والملابسات التى خرج فيها التصريح إلى الوجود ، فيقول فى سياق شهادته التى أدلى بها أمام اللجنة الملكية لفلسطين — وكان لويد جورج رئيسا للوزارة البريطانية :
« كان إعلان تصريح بلفور أمراً اقتضته موجبات الدعاية » .

ويمكننا أن نجزم أن الإنجليز كانوا يتفاوضون مع الشريف حسين فى

الوقت الذى كانوا يتفاوضون فيه مع الصهيونيين ، وانتهى الأمر بوضع حلفين متناقضين : أحدهما لأصحاب الحق سكان البلاد وهم العرب ، وثانيهما للغدر بالعرب وإقطاع اليهود أرض فلسطين .

وتعمدوا أن يكون نص وعد بلفور مبهما مائعا لا يدل على شىء واضح مع الاتفاق سرا على أن تكون فلسطين تحت حماية إنجلترا ، ومع الوعد الخطير بمنع إقامة حياة نيابية ، وبضمان هجرة اليهود إلى فلسطين ، حتى يصبحوا كثرة يمكن معها إقامة دولة يهودية .

وبهذا سقطت مبادىء ولسن ، كما سقط مبدأ عصبة الأمم الذى أعلن للناس « حق تقرير المصير » ، وأن « خير الشعوب وتقدمها أمانة مقدسة فى عنق المدنية » . ثم وضعت فلسطين تحت الانتدب البريطانى .

ويؤيد لويد جورج فى وجهة نظره البروفسور أرنولد توينبى المؤرخ البريطانى المشهور وأستاذ الدراسات الدولية فى جامعة لندن ، ومدير المعهد الملكى البريطانى للأبحاث الدولية ، فقد علل صدور وعد بلفور فى الجزء الثامن من كتابه « دراسة فى التاريخ » A Study of History بقوله : « عامل سياسى آخر أظهرته الحرب العالمية الأولى فى الميدان ، هو التنافس بين المتحاربين على كسب ود اليهودية العالمية ، فإن كسب التأييد اليهودى — بل وأكثر من ذلك تجنب العداوة اليهودية — كان أمراً على جانب عظيم من الأهمية للفريقين . ومع أن تحرر اليهود النفسى فى منفاهم فى الغرب لم يكن قد تم بعد ، فإن تحررهم الاقتصادى والسياسى فى ذلك الوقت كان قد قطع شوطا بعيدا فى تقدير أصوات اليهود ومنحها وزنا هاما ، بل وربما حاسما فى ميزان القوة الدولى المضطرب . لقد أصبح اليهود الآن قوة يحسب حسابها فى الحياة السياسية القومية لدى دول وسط أوربا وغربها على السواء . وفى

الولايات المتحدة كانت قوتهم لا تزال على مدى أوسع كثيرا وقد بلغ نفوذ يهود أمريكا قدراً عظيما فى أعين المحاربين فى أوربا الذين بدأوا يتحققون أن الكلمة الأخيرة فى النزاع ستنطق بها أمريكا ، وأن هذه الكلمة الأمريكية الأخيرة قد تتأثر بصورة ملحوظة بآراء المواطنين من يهود أمريكا » .

ويصف تويني السباق بين الطرفين المتحاربين ، وينتهى إلى القول بأن التصريح كان الورقة الراجحة فى أيدى البريطانيين وحلفائهم .

٤ — الأمم المتحدة

United Nations

الأمم المتحدة وليدة اليهودية العالميـــة وأدواتها التنفيذية من ماسونية وصهيونية وجمعيات يهودية أخرى . خلق اليهود عصبة الأمم بعد الحرب الكونية الأولى التى دبروها وخططوا لها ، لتقرر بدء عملية تهويد فلسطين ولتشرف على تنفيذ تلك العملية الإجرامية . ودبر اليهود وخططوا للحرب الكونية الثانية ، وبعد انتهائها خلقوا الأمم المتحدة لتقوم بالمرحلة الثانية فى جريمة فلسطين وهى إصدار قرار تقسيمها وإنشاء دولة لليهود فى فلسطين . فالجمعيتان من صنع اليهودية العالمية وهما وسيلة من وسائلها للسيطرة على العالم .

نجاح المؤامرة اليهودية :

فى فبراير ١٩٤٧ تظاهرت الحكومة البريطانية بالعجز التام عن إيجاد حل لمشكلة فلسطين ، وقررت إحالة القضية للأمم المتحدة ، وهى أمنية طالما تمناها اليهود الذين يسيطرون على الأمم المتحدة سيطرتهم على سابقتها عصبة الأمم .

ومن الإحصائية التى أعقبت تأسيس هيئة الأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية سنة ١٩٤٥ (١) يظهر أنها تضم ٦٠ ٪ من موظفيها من اليهود مع أن نسبة عدد اليهود إلى سكان العالم لا تزيد على ½ ٪ .

ونشطت اليهودية العالمية وحكومتها المستورة فى تدبير اجتماع عاجل خاص للأمم المتحدة للنظر فى قضية فلسطين ، فعقدت دورة استثنائية فى إبريل ١٩٤٧ اتخذ فيها قرار بإيفاد لجنة تحقيق دولية إلى فلسطين . وتألفت لجنة التحقيق الدولية من مندوبين عن : أستراليا ، تشيكوسلوفاكيا ، يوغوسلافيا ، الهند ، غواتيمالا ، هولندا ، إيران ، البيرو ، أورغواى ، السويد ، كندا ، وكانت ميول أغلب أعضائها يهودية صهيونية . وقد اجتمعوا سراً بالمنظمات اليهودية الإرهابية وتبادلوا مع رؤسائها الآراء والعواطف . وحضرت اللجنة المذكورة إلى فلسطين ودرست المشكلة كما فعلت سابقاتها من لجان التحقيق العديدة ، وعادت إلى سويسرة حيث وضعت قرارها بالأكثرية : قرر ثمانية أعضاء تقسيم فلسطين ، وقرر مندوبو الهند وإيران ويوغوسلافيا تشكيل دولة فيدرالية فى فلسطين . ورفعت اللجنة قرارها إلى الأمم المتحدة مطالبة بتقسيم فلسطين ، ونظرت الأمم المتحدة فى دورتها العادية سبتمبر سنة ١٩٤٧ فى تقرير لجنة التحقيق ، ووقعت مناورات ومؤامرات خطط لها ونفذها رجال الحكم فى الولايات المتحدة وعلى رأسهم ترومان فنشرت جريدة New York Times فى عددها الصادر بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ما يلى :

« أجلت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلستها التى تصوت بها على تقسيم فلسطين أمس ، بعد أن وجـد مؤيدو الصهيونية أنهم لا يضمنون ثلثى الأصوات اللازمة لنجاح المشروع » . وهكذا كانت الأمم المتحدة منذ إنشائها حتى يومنا هذا أداة فى خدمة اليهودية العالمية .

(١) World Dictatorship, Hillary Cotter, Suffolk, 1951.

الفصل الثالث

انتفاضة الأمم واللاسامية

تشهد التوراة على بنى إسرائيل بأن الله شاء فأسكنهم بين قوم جبابرة عتاة لامتحانهم : هل يسمعون وصايا الرب أو يتنكرون لها ؟

« فهؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم إسرائيل كل الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان . إنما لمعرفة أجيال بنى إسرائيل لتعليمهم الحرب . الذين لم يعرفوها قبل فقط . أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة ، كانوا لامتحان إسرائيل بهم لكى يعلم هل يسمعون وصايا الرب التى أوصى بها آباءهم عن يد موسى » (١) .

إلا أن طبيعة بنى إسرائيل المتمردة وقلوبهم الغلف جعلتهم ينحرفون : « فسكن بنو إسرائيل فى وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم ، فعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسوارى . فحمى غضب الرب على إسرائيل ، فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام النهرين . فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثمانى سنين » (٢) .

وتمر الأيام ، « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروث وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه . فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بنى عمون » (٣) .

---

(١) قضاة ٣ : ١ — ٤ .

(٢) قضاة ٣ : ٥ — ٨ .

(٣) قضاة ١٠ : ٦ — ٧ .

ويبدو أن أسفار التوراة تدلل على أن بنى إسرائيل كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة ، فكانوا يرون أن ثمة إلها خاصا بهم يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى : « وقال لابان ليعقوب : هوذا هذه الرجمة وهوذا العمود الذى وضعت بينى وبينك . شاهدة هذه الرجمة وشاهد العمود أنى لا أتجاوز هذه الرجمة إليك وأنت لا تتجاوز هذه الرجمة وهذا العمود إلىّ للشر. إله إبراهيم وآلهة ناحور آلهة أبيهما يقضون بيننا » (١) . أما إله إسرائيل فهو ذاك الذى أطلق على نفسه لقب « يهوه » : « وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل : يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور » (٢) .

حتى سليمان عليه السلام شارك بنى إسرائيل فى تعـــدد الآلهة حسب ما زعمته التوراة : « وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش وحى الموآبين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك وحى بنى عمون وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن ، فغضب الرب على سليمان . . . وأقام الرب خصما لسليمان هدد الأدومى . كان من نسل الملك فى أدوم » (٣) .

---

(١) تكوين ٣١ : ٥١ — ٥٣.

(٢) خروج ٣ : ١٥ .

(٣) الملوك الأول ١١ : ٤ — ٩ ، ١٤ . وأدوم هو من نسل عيسو شقيق يعقوب : « فقال عيسو ليعقوب أطعمنى من هذا الأحمر لأنى قد أعييت ؛ لذلك دعى اسمه أدوم » . تكوين ٢٥ : ٣٠ .

وقد تعاقب الأنبياء وأرعدت أصواتهم تنذر بالهلاك . وانقسمت المملكة إلى مملكتين توأمتين هما مملكة يهوذا وقاعدتها أورشليم ومملكة إسرائيل وقاعدتها السامرة . وتناقص حجم المملكتين التوأمتين كلما أمعنتا فى الخطيئة . وفى سنة ٧٢٢ ق. م غزا ملك أشور « سوريا » السامرة :

« وكان أن بنى إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم .. وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلَيْن وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل . وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار . . فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده . . فسُبى إسرائيل من أرضه إلى أشور إلى هذا اليوم . وأتى ملك أشور بقوم من بابل . . . وأسكنهم فى مدن السامرة عوضا عن بنى إسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها » (١) .

وفى سنة ٥٨٦ ق . م غزا نبوخذ نصر ملك بابل مملكة يهوذا ودمر هيكلها :

« إن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم .. فأرسل الرب إله آبائهم رسلا ، فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم ، وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً » (٢) .

إلا أن حكمة الله التى تقتضى مولد المسيح ليكون خاتمة أنبياء إسرائيل اقتضت إعطاء فرصة لإسرائيل للعودة : « وأما بيت يهوذا فأرحمهم وأخلصهم بالرب إلههم ، ولا أخلصهم بقوس وبسيف وبحرب

---

(١) ٢ مل ١٧ : ٧ — ٢٤ .

(٢) أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٤ — ٢٠ .

وبخيل وبفرسان » (١) ، فيجعل قلب كورش ملك فارس رحيما بإسرائيل ، ويأذن لهم بالعودة لبناء بيت الرب : « فى السنة الأولى لكورش ملك فارس أطلق نداء فى كل مملكته بأن الله أوصانى أن أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا من منكم من جميع شعبه الرب إلهه معه وليصعد » (٢) .

وتعرض الشرق الأوسط للغـــزو المقدونى فاستولى على فلسطين سنة ٣٣٠ ق . م . ودارت الأرض دورتها وفى سنة ٦٣ ق . م استولى الجنرال الرومانى بومبي على القدس . وقدر لهؤلاء الرومانيين أن يكونوا سادة البلاد فى إبان الخطوة العظيمة التالية لتطور فلسطين التطور الروحى بعد عودة اليهود من السبي .

ففى بادىء الأمر حكموا اليهود عن طريق تابعهم الملك هيرودس الذى أعاد بناء الهيكل على جبل المريا حيث الصخرة العظمى وكان هيكلا أكبر حجما وأغنى أثاثا ورياشا من الهيا كل التى سبقته حتى من هيكل سليمان .

وأخذ اليهود المنتشرون فى جميع أصقاع الأرض يحجون إلى الهيكل حاملين معهم الهبات السخية ، وسنحت لليهود الفرصة مرة أخرى لإقامة عبادة دائمة نقية صافية للإله الأعلى .

ولكن المصالح المادية طغت وأخذ اليهود يستغلون عبادة الله تجاريا ، فجباة عشور الهيكل دفعوا أنصارهم المتنافسين إلى أن يقاتلوا بعضهم بعضا فى الشوارع كما يفعل اللصوص وقطاع الطرق ، والصرافون الذين كانوا يجلسون إلى موائدهم فى الهيكل نفسه كانوا يتخذون صفة السماسرة للكهنة الكبار ويبتزون الأموال دون ما رحمة أو شفقة على الحجاج البائسين .

---

(١) هوشع ١ : ٧ .

(٢) ٢ خب ٣٦ : ٢٢ — ٢٣ .

وإذ تتدهور القيم الأخلاقية ولا يرتجى من بيت الله خير يتحول الزمن فى دورته وتستعد الدنيا لرائد يقود الإنسانية للحياة الفضلى ، وكأن العناية تعد العدة لمجىء المسيح عليه السلام ، وذهب المسيح مع رعيل الحجاج إلى الهيكل المبنى على الصخرة (١) ، ولما وصل أخذته الغيرة على بيت الله إذ ارتاع لهول ما رأى من شرور وآثام كما ارتعد من قبله سائر الأنبياء . واستطاع أن يقوم بعمل مباشر : « وجاءوا إلى أورشليم . ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام . ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع . وكان يعلم قائلا لهم : أليس مكتوبا بيتى بيت صلاة يدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (٢) .

ولم يكن غريبا أن يحكم كهنة اليهود الثائرون على يسوع بالإعدام : « وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه إذ بهت الجمع كله من تعليمه » (٣) .

إلا أن يسوع المسيح تنبأ بالمصير الذى ينتظرهم ، لا بمصير ملك اليهود السياسى لأن هذا كان قد ضاع فعلا منذ سنة ٥٨٦ ق . م ، بل بزوال مركزهم الدينى بهدم الهيكل : « وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه : يا معلم انظر ما هذه الحجارة وهذه الأبنية ؟ فأجاب يسوع وقال له : أتنظر هذه الأبنية العظيمة ؟ لا يترك حجر على حجر لا ينقض (٤) » . ويقول : « يا أورشليم يا أورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة

---

(١) وهو غير الهيكل الذى أعاد بناءه عزرا الكاهن بعد عودته من فارس ، فالهيكل الذى أعاد بناءه عزرا الكاهن وزير بابل قد دمر فى أثناء ثورة توداس وجوداس سنة ٧٠ م فى عهد الإمبراطور الرومانى تيطس .

(٢) إنجيل مرقس ١١ : ١٥ — ١٧ .

(٣) مرقس ١١ : ١٨ .

(٤) مرقس ١٣ : ١ ، ٢ .

المرسلين إليها ! مرة أردت أن جمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » (١). وكانت كلماته الأخيرة هذه خاتمة لسلسلة من الويلات انصبت على الكتبة والفريسيين منها ما قاله : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك » (٢) .

ولم تتحقق نبوءة خراب الهيكل بعد ذلك بخمسين عاما فحسب ، ولكن القدس كلها دمرها الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ م ، إخماداً لثورة باركوبيه ، وطرد منها اليهود جميعا ، وبنيت مكانها مدينة رومانية جديدة وحرم على جميع اليهود أن يدخلوا إليها ، وقد دامت الإمبراطورية الرومانية أكثر من ستمائة عام .

الظاهر والباطن :

كان الوضع الذى نتج فى فلسطين مثقلا بالمتناقضات الجغرافية والتاريخية والسيكولوجية . فرقعة الأرض الواقعة غرب نهر الأردن « لبنان » هى أرض « إبراهيم » الجبلية وهى الرقعة التاريخية التى ثبت إسرائيل أقدامه فيها ثم توارثها السامريون فيما بعد .

أما الرقعة الرئيسية التى تقوم عليها دولة إسرائيل الصهيونية الحالية فهى أرض الفلسطينيين والكنعانيين ، ولم يسبق أن استعمر هذه الأرض أى من شعب إسرائيل أويهوذا على الإطلاق ، كما أنها لم تتحد لا مع إبراهيم ولا مع مملكة يهوذا طوال الثلاثة عشر قرنا التى ظل الفلسطينيون

(١) إنجيل متى ٢٣ : ٣٧ — ٣٨ .
(٢) متى ٢٣ : ٢٣ .

والإسرائيليون يعيشون فيها جنبا إلى جنب ، إلا فى فترات قصيرة متقطعة كانت ضمن الفترات التى ساد فيها حكم الفلسطينيين على إسرائيل أو حكم اليهود على أرض فلسطين .

وفى سنة ١٩٤٩ م كما فى سنة ١٣٥ م وسنة ٧٠ م ، وسنة ٥٨٦ ق.م وسنة ٧٢١ ق . م ، وسنة ٧٣٢ ق . م كان المجتمع الفلسطينى المنتزعة جذوره من أرضه الوطنية بفعل عاصفة عسكرية أو سياسية يواجه تحديا يبعثره فى الخارج بين الأمم الأخرى لكى يظهر فيما إذا كان ذلك المجتمع قادراً على المحافظة على شخصيته فى حالة التشريد كما فعلت مملكة يهوذا أو أنه سيضمحل ويذوب كما فعلت مملكة إسرائيل ، إلا أن مشردى القرن العشرين الفلسطينيين هؤلاء كانوا غير يهود ، بينما كان الغزاة الذين اقتلعوهم من أرضهم هذه المرة من اليهود ، وكانت هذه المتناقضات الجغرافية والتاريخية نتيجة لتناقض سيكولوجى عجز اليهود عن الصمود له .

فحين يهجر اليهودى الليبرالى حياة التشرد بشكل إفرادى ثم يضع نفسه بين صفوف البرجوازية الغربية الحديثة فإنه يصهر نفسه ضمن قائمة اجتماعية مسيحية قد عفى عليها الزمن .

أما حين يهجر المشتتون اليهود ذلك بشكل جماعى ، ومن أجل أن يبنوا أمة جديدة تتجمع على أرض واحدة مقلدة فى ذلك آثار الرواد البروتستانت المسيحيين الذين خلقوا الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندة — فإن الصهيونيين يصهرون أنفسهم وينقلبون إلى طبقة مسيحية لا مثيل لها فى حياة اليهود بعد النفى . كان الهدف الجرىء الذى يسعى إليه الصهيونيون هو أن يقلبوا ، ومن عندياتهم الخاصة ، جميع الخصائص اليهودية المتميزة ، وذات الأصول العميقة فى الحياة التقليدية ليهود التشريد ، ومن أجل ذلك شرعوا يعيدون أنفسهم إلى عمال يدويين بدلا من طبقة مثقفين وأخذوا يسكنون الأرياف والقرى بدلا من كونهم

سكان مدن ، وصاروا جنودا مقاتلين وإرهابيين بدلا من شهداء ، وساميين ذوى روح عدوانية بدلا من « لا ـ آريين » مستضعفين مسالمين وكان هذا التقييم « النيتشوى » (١) لجميع القيم اليهودية التقليدية ، بغية الهدم بدلا من كونه بغية البناء ، وفى سبيل الشر بدلا من توجيهه إلى صالح الخير ، هو الذى تم توجيهه نحو ذلك الخيال الذى كان يلوح لليهود فى الأفق ، فيملأ قلوبهم الضيقة بالأمل فى أن يجعلوا أنفسهم أبناء « أرض إسرائيل » (٢) فى عهد متأخر .

ولقد فشلت جميع العوامل لإذابة الشعب اليهودى ضمن أبناء الوطن الذين يعيشون فيه ، ويرجع ذلك إلى الحاجز السيكولوجى بين المسيحيين الغربيين وبين اليهود ، بعد أن كان الحاجز القانونى بينهما قد أزيل رسميا . كان لا يزال هنا لك « غيتو » فى عالم الغرب الليبرالى فى القرن التاسع عشر ، فظل المسيحى الغربى يحتجز اليهودى فيه كما ظل اليهودى من جانبه أيضاً يحشر نفسه وينعزل عن مواطنه المسيحى . وكان اليهودى الذى تم تحريره بصورة اسمية يجد نفسه مُقصىً بالفعل ـ بحكم الواقع لا بحكم القانون ـ عن الفرص الاجتماعية الكثيرة ، ومجردا من الحقوق التى يتمتع بها رفيقه المسيحى الذى يعترف به رسميا كعضو مساو له فى مجتمع متحد . وكان المسيحى يجد نفسه قبالة ماسونية حرة ـ وهى أيضاً واقعية أكثر منها مقصودة ـ بين اليهود الذين ظلوا يتوقون إلى المطالبة بالمنافع والخيرات دون الرغبة فى الانسجام . كما كانوا يدعون إلى المساواة الفعلية بين جميع أعضاء الطائفتين كنتيجة للاعتراف الرسمى بالمساواة فيما بينهما .

وفى الحقيقة لقد ظل كل من الطرفين يتصرف حسب مستوى ازدواجى فى سلوكه : مستوى أرفع للتعامل مع أعضاء مجتمعه الذين من عرقه .

---

(١) نسبة إلى الفيلسوف الألمانى « نيتشه » .
(٢) هذا هو التعبير الوارد فى المخطوطات اليهودية بشكل متواتر .

ومستوى أدنى للتعامل مع المواطنين الآخرين الذين يفترض ألا يجرى وضعهم فى مركز اجتماعى منفصل .

وكان هذا شاهداً على أن تحرير الشعب اليهودى فى القرن التاسع عشر بعد الميلاد كان إجراء جذريا كافيا لأن يعرى طبيعة اليهود الغربيين لأول مرة فى التاريخ ، كما أنه خير محك صالح لأن يكشف علاقاتهم بجيرانهم المسيحيين ويعرضها لتأثير الأفكار الغربية السائرة والمثل الموجودة .

وفى هذه الأثناء ولدت الصهيونية . . .

فكانت بشهادة تيودور هرتزل نفسه شاهداً على القلق فى نفوس يهود الغرب فى القرن التاسع عشر خشية أن تصهرهم بوتقة « الامتصاص الفردى » ، وقد استيقظ اليهود بفعل اشتداد موجة القومية الغربية الحديثة التى أخذت تسير سيراً ملحاً فى أعقاب الليبرالية السابقة ، وبفعل قضية دريفوس (١٨٨٤ — ١٩٠٦) التى خضعت لموجتها فرنسا الليبرالية ساعة إذلالها وتردى معنوياتها بعد هزيمتها المنكرة عام ١٨٧٠ ، فكانت أعمق أثراً وأشد خطرا . وكان منظر المظاهرات المعادية لليهود فى باريس فى نفس الوقت الذى كانت فيه المعركة متأججة حول قضية دريفوس هوالذى حول الصحافى اليهودى النمسوى « هرتزل » من داعية قوى من دعاة اندماج اليهود مع مواطنيهم إلى كونه رسولا مبشراً للصهيونية ، وأصبحت آمال تلك الطبقة الجديدة ومطامحها مشتقة من العهد القديم ومن سفر الخروج (١) .

بنو إسرائيل وجيرانهم :

يؤمن الإسرائيليون بما توحيه إليهم توراتهم من السلوك الوحشى بين الأمم وممارستهم للحروب فيعلن يشوع خليفة موسى أن الله يأمر

(١) أى خروج اليهود من مصر إلى فلسطين وكذلك خروجهم من مرحلة ما بعد الليبرالية وعودتهم إلى ما قبلها .

إسرائيل بما نصه : « حرّموا كل مافى المدينة من رجل وامرأة ، وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . . وأحرقوا المدينة (١) بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها فى خزانة بيت الرب » (٢) .

وبهذه الروح الهمجية دخل اليهود أرض فلسطين بقيادة يشوع بن نون بعد وفاة نبيهم موسى ، واضعين نصب أعينهم إبادة السكان الأصليين بلا شفقة ولا رحمة ، ودون أى تمييز بين المحاربين وغير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ .

وبهذه الروح الهمجية عاش بنو إسرائيل منذ العصور الأولى الموغلة فى القدم مع جيرانهم تراودهم أحلام « الجنس المختار » ، ومن هذه الأحلام يتلذذون بإذلال الناس واستعبادهم ويزعمون أن التوراة توصيهم بهذا : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف » (٣) .

وتاريخ اليهود القديم الدامى فى فلسطين العربية تاريخ أسود مفعم بالقتل والذبح والنهب والسلب والثورات والبطش والإرهاب والغدر . ويشهد التاريخ والدول التى استولت على فلسطين بوحشية هؤلاء القوم : الأشوريون والبابليون والفراعنة من قبلهم والفارسيون والرومانيون والمسلمون .

---

(١) مدينة أريحا .

(٢) يشوع ٦ : ٢١ ، ٢٤ .

(٣) تثنية ٢٠ : ١٠ — ١٣ .

ويبدو أن الله سبحانه وتعالى الذى منحهم الفرصة وأنقذهم من طغيان فرعون ، قد عاد وصب عليهم غضبه وسخطه ، بعد أن كفروا وخالفوا شريعة موسى وأبوا أن يحيوا كبقية شعوب الأرض بأمان ووئام وتعاون لخير البشرية ، فعادت أحقادهم وأخلاقهم الذميمة وطغيانهم بالويل والخراب والدمار ، وساط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ويبادلهم طغيانا بطغيان ، وذبحا بذبح وإفناء بإفناء ، وداستهم الأمم والشعوب تحت أقدامها طوال فترات التاريخ ، ومع كل ذلك لم يغيروا ما بأنفسهم من كيد وحقد وتعصب وغرور وهمجية .

بنو إسرائيل والإسلام :

عاش اليهود فى شبه الجزيرة العربية بعد أن وصلوا إليها نتيجة تشردهم وخاصة بعد خراب الهيكل على يد الإمبراطور الرومانى تيطس سنة ٧٠ م .

وحين بعث الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم محمداً عليه الصلاة والسلام وحمله رسالة الإسلام تحقيقا لنبوءة موسى عليه السلام : « أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » ، (١) وإتماما لنبوءة المسيح عنه : « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية » (٢) .

لما جاء سيد الرسل وخاتم النبيين ناصبه اليهود العداء وحاربوا دعوته . ونشب الصراع بين اليهود والمسلمين منذ هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واتخذها مركزاً لنشر الدعوة إلى توحيد الله وعبادته .

---

(١) تثنية ١٨ : ١٨ .

(٢) يوحنا ١٦ : ١٣ .

ورأى اليهود أن الدين الجديد قد أصبح منافسا يوشك أن يقضى على نفوذهم وينتزع منهم الزعامة الدينية التى كانوا يدعونها ، وأدركوا ما سبق أن تنبأ به المسيح من قوله : « أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (١) ، « فكرهوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ونظروا إليه وإلى دينه الجديد وإلى أتباعه نظرة الحسد والحقد والضغينة والبغضاء وظهرت عداوتهم لدين الإسلام واضحة جلية حينما رأوا الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فأخـــذوا يكيدون للإسلام والمسلمين بالدس والإرجاف ثم بالمراء والجدل فيما يعلمون وفيما لا يعلمون وإذا سئلوا عن شىء فى كتبهم حرفوا الكلم عن مواضعه ولبسوا الحق بالباطل ليكسبوا عطف المشركين بالغض من شأن الإسلام ونبى الإسلام ، لا لسبب سوى كراهيتهم للرسول عليه الصلاة والسلام لما اختصه الله به من الرسالة »(٢) ، وقد نعى الله عليهم ذلك بقوله : « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين » (٣) .

ولقد ناصر اليهود كفار قريش المشركين عبدة الأصنام وأيدوهم فى عبادة الأوثان ، وأكدوا لهم أنها أفضل من الدين الإسلامى الذى يقول : « لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله » ، ويقوم على التوحيد وعبادة رب العالمين .

ولم يتوان اليهود عن السعى فى دين الله معاجزين لكى يفتنوا الناس

---

(١) متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) اليهود وفلسطين للأستاذ الشيخ صبرى عابدين ـ القاهرة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٦ م .

(٣) البقرة : ٩٠ .

عن دينهم ، ويوهنوا عقائدهم بالشبه الزائفة والأباطيل المختلفة ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا ، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » (١) .

ولما رأى اليهود جماعة المسلمين تتكاثر ، والإسلام ينتشر ، ويفتح الله قلوب الناس لقبوله ، ايقنوا أن لاسبيل للمحافظة على كبريائهم وزعمهم أنهم شعب الله المختار وضمان مصالحهم وسيطرتهم على مقدرات البلاد المادية والمعنوية ، إلا بالقضاء على محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه واجتثاث آثار دينه من أصولها ، وأخذوا يكيدون للإسلام والمسلمين بكافة الطرق ومختلف الوسائل ، وينتهزون الفرص لمحاولة قتل الرسول الكريم كما حدث له مع يهود خيبر يوم أن أعدوا له وليمة تكريم « شاة مسمومة » .

ولقد هادنهم عليه الصلاة والسلام فى بادىء الأمر ووادعهم وأبرم معهم العهود ، فما لبثوا أن خانوها ونكثوها ، كما حدث مع يهود بنى قريظة الذين تعاونوا مع كفار قريش ، وألَّبوا عليه وعلى صحابته من المسلمين سائر العرب من كفار قريش وشمال الحجازِ ، ومالئوا الأعداء وحزبوا الأحزاب ضد المسلمين لاستئصال شأفتهم وإبادتهم ، وكما حدث مع يهود بنى النضير وتآمرهم على المصطفى صلى الله عليه وسلم . ولكن الله تعالى أحبط سعيهم ونصر رسوله الكريم وأيد دينه الجديد ، وأنزل على قلب المصطفى آيات كثيرة مشيرة إلى كفر اليهود وأحقادهم وجرائمهم منها قوله تعالى : « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ، أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » (٢) .

---

(١) البقرة : ١٠٩ .

(٢) آل عمران : ٢٢ .

ولما كان الله يعلم مقدار ما يبطنه اليهود للإسلام والمسلمين من العداوة والخصام بين فى كتابه العزيز بعبارة صريحة أن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، لنعاملهم معاملة الأعداء الألداء ، فقال : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » (١) .

ويقول الشيخ صبرى عابدين فى كتابه « اليهود وفلسطين » :

« حينما استقر الرسول العظيم فى المدينة وحد كلمة العرب ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأصلح ذات بين الأوس والخزرج سكان يثرب ، واجتث من قلوبهم آثار العداوة والبغضاء فأصبحوا بنعمة الله إخوانا ، ونسوا ما كان بينهم من فتن وحروب دامت عشرات السنين . ولم يرق لليهود أن يروا الأوس والخزرج مؤتلفين لأن فى اتفاقهم قوة لرسول الله وللمسلمين ، فأخذوا يبثون أسباب الفتن ويثيرون الأحقاد والضغائن ليشتتوا شملهم ويفرقوا جمعهم من جديد . واستطاعوا عن طريق شيخ من شيوخهم هو شاس بن قيس أن يثيروا بين مسلمى الأوس والخزرج الفتنة ويذكروهم بعداوة الجاهلية ، فحملوا السلاح ، ولولا خروج النبى إليهم وردهم عن غيهم وتبصيرهم بخطة اليهود ، لوقعت الحرب من جديد بين قوم هداهم الله إلى الإسلام وأبعد عنهم دعوى الجاهلية . ونزل فى الأوس والخزرج الذين كادوا يصدقون ما أدخله عليهم شاس اليهودى :

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ! ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » (٢) .

---

(١) المائدة : ٨٢ .

(٢) آل عمران : ١٠٠ — ١٠١ .

الحرب بين الرسول صلى الله عليه وسلم واليهود :

ولم يكتف اليهود بالمقاومة السلبية للدين الإسلامى ، ولم يكفهم الدس والنفاق والفتن يثيرونها بين المسلمين ، بل أخذوا يقفون إلى جانب كفار قريش معلنين عداءهم الصريح للإسلام ولنبى الإسلام .

وكان أول احتكاك إيجابى بين المسلمين واليهود ما وقع مع بنى قينقاع فى المدينة نفسها ، فقد حدث أن جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق بنى قينقاع وخاطبهم قائلا : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا . فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا قومك ! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس » (١) .

فأمهلهم الرسول الكريم إلى أن نقضوا العهد وتعرضوا لسيدة مسلمة كانت تمر بسوق بنى قينقاع وجلست إلى صائغ منهم ، فعمد إلى ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ؛ وتجمع اليهود على المسلم فقتلوه . وكانت الشرارة التى حملت الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم على محاصرتهم خمس عشرة ليلة . وحينما استسلموا شفع فيهم عبد الله بن أبى ابن سلول ، واكتفى الرسول بإجلائهم عن المدينة .

وطلب المسلمون من اليهود الجلاء إلا من كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا تم تطهير الجزيرة العربية من اليهود الذين كانوا شوكة فى حلق الإسلام أول عهده .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٥٠ .

اليهود والقرآن الكريم :

١ — سجل عليهم القرآن الكريم كفرهم بالأنبياء والرسل وقتلهم الأنبياء بغير حق :

« ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون !! » (١) .

« لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » (٢).

٢ — سبحان الله العالم بحقيقة هذا الفريق من خلقه ، فى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم . لقد كتب الله على اليهود الذلة والمسكنة إلى يوم الدين . لقد أخزاهم الله تعالى بشر أعمالهم ، ومهما حاولوا أن يتظاهروا بالقوة والمنعة فإن كلمة الله هى العليا ، والقرآن الكريم يسجل إرادة الله وحكم السماء :

« ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٣).

إسرائيل والدول الأوربية :

لم تكد الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى أحس المتأملون فى أحوال الأمم هبوب ريح معاداة ومناوأة لليهود فى معظم الأقطار ، وقد

---

(١) البقرة : ٨٧ .
(٢) المائدة : ٧٠ .
(٣) آل عمران : ١١٢ .

أخذت هذه الريح تشتد رويدا رويدا حتى عمت القارة الأوروبية بأكملها ، بل تعدتها إلى أمريكا . وكان المظنون أنها أبعد من سواها عن التعصبات الجنسية والدينية .

ولقد كثرت وقتئذ الحوادث الدالة على اتجاه هذا التيار العاطفى ولا سيما فى أقطار أوربا الشرقية حيث يكثر العنصر اليهودى ، فمن هذا القبيل ما ذكرته الصحف وقتئذ عن مقتل رئيس جمهورية بولونيا ، ومنه هياج الطلبة فى رومانيا ومطالبتهم بتحديد عدد اليهود الذين يؤذن لهم بتلقى العلوم فى الجامعات الرومانية . وقد حصل مثل ذلك فى الجامعات الأمريكية الكبرى ، فإنها شرعت تقيم العقبات فى سبيل طالبى دخولها من اليهود ، بل إن قانون تحديد المهاجرة المسنون منذ بضع سنوات إنما كان غرضه الأول إقامة سد دون سيل المهاجرين من شرقى أوربا ، حتى فى إنجلترا التى كانت تعد أصدق صديقة لليهود بتنا نرى دلائل عديدة على هذا العداء . وقد حمل جانب من الصحف الإنكليزية أخيراً حملات عنيفة على سيطرة اليهود فى فلسطين وأحلامهم فى خلق دولة باغتصاب أرض فلسطين بغير حق تاريخى أو سند قانونى .

وليست هذه أول مرة يتحرج فيها مركز اليهود ، فقد عرفوا صنوف الاضطهاد والمناوأة منذ أقدم الأزمنة . ولكن فى التاريخ فترات ظهرت فيها هذه المناوأة على أشدها .

ولعل هذا الاضطهاد الذى عاناه بنو إسرائيل على مر التاريخ هو الذى دفع هرتزل أن يقرر حقيقة حتمية مصيرية لشعب اليهود بقوله : « من السخافة أن ننكر وجود « مشكلة يهودية » فإنها موجودة حيثما توجد جماعة من اليهود ، وإذا لم توجد فى جهة لايلبث أن يحملها إليها المهاجرون . إننا نهاجر إلى الجهات التى لا نضطهد فيها ولكن ظهورنا فيها يحمل على اضطهادنا » .

ويقول برنار لازار وهو من أوثق الباحثين فى علـم الاجتماع : « يتراءى لى أن شعوراً عاما كالمناوأة لليهود ظهر فى كل مكان وكل زمان قبل المسيح وبعده ، فى الإسكندرية وروميه وأنطاكية وبلاد العرب وفارس وفى أوربا القرون الوسطى وأوربا الحديثة ، أى بالاختصار فى كل قطر قطنه اليهود ، يتراءى لى أن شعوراً هذا انتشاره لا يمكن أن يكون طارئا عرضيا أو نزوعا وقتيا بل يجب أن يرجع إلى أسباب جدية وأصول بعيدة » .

ولقد صدق هذا الكاتب فيما ذكر . فإن لروح المناوأة التى وصفناها فيما تقدم سببا يعود إلى مزاج اليهود الروحى وعقيدتهم الدينية ومذهبهم الاجتماعى ، وهو أنهم لم يكونوا قابلين للاندماج فى الشعوب التى حلوا بينها ، فإن شخصيتهم الجنسية ما برحت تزداد بروزا مع الأيام حتى أصبح من أهم مميزات الشعب اليهودى تماسكه وتجانسه واعتداده بذاته وازدراؤه بسواه .

ولابد لنا قبل خوض هذا البحث الدقيق أن نؤكد أن نظرتنا إلى مشكلة إسرائيل مجردة عن كل هوى ، فإن كراهية اليهود فى كثير من الأقطار حقيقة واقعة لا سبيل إلى إنكارها . وكل ما كان من قبيل الحقائق الراهنة جدير بعناية الباحث ، لاسيما إذا كان ذا أثر فى الحياة الاجتماعية ، شأن العاطفة التى كان من نتائجها نشر الدعوة الصهيونية وإنشاء الوطن اليهودى فى فلسطين .

أما الأسباب الظاهرة فهى :

يتهم اليهود فى كل زمان ومكان بتهمتين متناقضتين لـكنهما متلازمتان تلازم الليل والنهار ، والظل والحقيقة وهما :

التهمة الأولى : أنهم زعماء الحركات الثورية والانتقاضية ، وإليهم ينسب قسط كبير من الفوضى المنتشرة فى كل جهة . فمنهم رؤساء الأحزاب الاشتراكية المتطرفة ومنهم أركان النظام البلشفيكى وناشرو دعوته فى العالم . وقد أتى وقت كانت فيه روسيا وما جاورها أشد أعداء اليهود وقد أذاقتهم الذل والمصادرة والطرد ، لما اقترفوه من قسوة فى معاملاتهم مع سكان أوربا الشرقية ، وهى معاملات مالية واقتصادية .. ولما خلقوه من أسباب الفوضى والاضطرابات فى تلك البلاد .. وكان لا بد لليهود من الانتقام لما أصابهم من محن اضطرت الكثيرين إلى الهجرة من شرق أوربا ، واتخذوا لذلك سبلا شتى : منها قيام كارل ماركس اليهودى الألمانى بنشر نظرياته المعروفة فى حرب الطبقات وفى وضع مبادىء الشيوعية ، وقد اعتنقها كثير من الروس اليهود وغير اليهود ، ومن هؤلاء لينين زعيم روسيا الأكبر وكان متزوجا بيهودية .. وتروتسكى الزعيم الجهنمى للشيوعية وهو يهودى لحما ودما ـ وكثير غيرهما ـ قاموا بالثورة الروسية الكبرى سنة ١٩١٧ ، وباغتيال القيصر والأمراء سنة ١٩١٨ ، كما فتكوا برجال الدين وألغوا الدين المسيحى نفسه .

وكما أن « لينين » زعيم الشيوعية فى روسيا كان زوجا ليهودية ، فإن تروتسكى وراديك وزينوفيف وثلاثة أرباع قوميسارى الروس كانوا يهوداً (١) .

---

(١) ا — كتاب قرارات حكماء صهيون بالفرنسية طبعة برنار جرسيه .

ب — كتاب الخطر اليهودى بالعربية للسيد خليفة التونسى .

ج — كتاب المؤامرة اليهودية على الشعوب العربية ترجمة الخورى أنطون .

د — كتاب الصهيونية والماسونية للسيد عبد الرحمن سامى عصمت .

وفى أيام الثورة الأولى استولى اليهود على السلطة وانتقموا من الشعب الروسى وقتلوا ملايين الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال . وكانت نسبة اليهود فى المكتب السياسى عند قيام الثورة كالآتى :

لينين	؟	Lenin
ستالين	متزوج من يهودية	
أورتسكى	يهودى	Uritski
كامينيف	يهودى	
سوكولنكوف	يهودى	Skolnikov
زينوفيف	يهودى	
يبنوف	روسى	

وفى مجلس إدارة الحرب والثورة كانت نسبة اليهود كما يلى (١) :

تروتسكى	يهودى	Trotsky
جوف	يهودى	Joffe
لينين	؟	Lenin
بوكيج	قفقاسى	Bokig
بودوسكى	روسى	Podwoiski
مولوتوف	متزوج من يهودية	Molotov
نيوسكى	روسى	Newski
انتشلخت	يهودى	Unschlicht
سفرديلوف	يهودى	Sverdlov
أورتسكى	يهودى	Uritski
أنتونوف	روسى	Antonov

(١) العدد ٧٧ بتاريخ ٢٨/٦/١٩٥١ من نشرة Gothic Ripples - Arnold leese .

ميكونسنين	روسى	Mechonosenin
جوسيف	يهودى	Gussev
أرميجيف	روسى	Ermejev
جيرجنسكى	بولندى	Djerjinski
ديبنكو	أوكرانى	Dybenko
راسكولنكوف	روسى	Raskolnikov

التهمة الثانية : أنهم ملوك الصيرفة والمال يسيطرون على أسعار الأشياء وعلى تقلب العملة والأوراق المـــالية ويجنون الأرباح الطائلة والثروات العظيمة فى حين يعم الضيق والفقر سواد الناس .

واليهود البارعون فى جمع المال واكتنازه واستثماره صاروا فى الولايات المتحدة منذ أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من هذا القرن ملوك المال ، استولوا بخططهم اليهودية الماكرة على مصادر الذهب والمعادن والبترول ، استولوا على الشركات التجارية والصناعية والزراعية واستولوا على البنوك والبورصة المالية ، استولوا على أسواق التموين ومخازن الحبوب وخاصة القمح ، استولوا على مدينة السينما « هوليود » وأداروا صناعة السينما حسب الخطة المرسومة فى بروتوكولات حكماء صهيون ، استولوا على المسارح والملاهى ، استولوا على الصحافة ودور النشر والإذاعة والتليفزيون ، وأخطر من هذا كله استولوا على رؤساء الجمهورية الأمريكية والبيت الأبيض ودوائر الحكومة وهيئة الأمم المتحدة بنيويورك .

ويبدو أن هناك ملاءمة وثيقة الصلة بين إثارة القلاقل والحروب وانتفاع أرباب الصيرفة والمضاربة . وتتوثق الملاءمة بين السببين لما اشتهر به اليهود من سبقهم لإذاعة الأنباء والأخبار وهذا ما يتيسر لهم لعنايتهم

بالاستعلام وجمع الأخبار ولما بينهم من الصلات الوثيقة والروابط المتينة على ما يفصلهم من المسافات (١).

والأمر الذى تجدر ملاحظته هنا هو أن الطائفتين تعملان فى خارج الحيز الوطنى ، فإن مراميهما دولية لا قومية ، فمن جهة ، يجاهر أرباب الاشتراكية والشيوعية بأن غرضهم إزالة الفوارق بين الأمم ، واتحاد العمال من كل الدول لمناهضة أصحاب الثروة والسلطة . فهم بذلك يعملون على إضعاف الرابطة الوطنية والجامعة القومية . ومن الجهة الأخرى يقوم أرباب الصيرفة والمال بأعمالهم فى جهات مختلفة ومصالحهم مشتتة فى بلدان متعددة وهم قلما يشتركون فى حياة الأمة الإحساسية إذ تهمهم حياتها الاقتصادية فقط . وقد قيل إن اليهودى حتى فى حالة انضمامه إلى وطن من الأوطان يختلف نظره إلى ذلك الوطن عن نظر بنيه الأصليين ، فإن وطنه اقتصادى ووطنيته كذلك اقتصادية ، بخلاف وطن هؤلاء ووطنيتهم المستقرة فى أعماق نفوسهم .

من ذلك كانت أغراض الطائفتين مضادة لتيار « القوميات » الذى اشتد بعد الحرب ، ولذلك كانت الحركات القومية تعمل على تنقية الأمم من العناصر الغريبة التى لم تندمج فيها .

وهذا شأن اليهود فى كثير من الجهات فإنهم يعدون من عوامل الانحلال القومى ومن ثمّ ما يوجه إليهم من العداوة والمناوأة .

وإن ما امتاز به اليهود من هذين الأمرين : الثورة والإثراء كان بفعل

---

(١) كان لليهود منذ قديم الزمن عناية عظيمة بالاستعلام وقد أنشأوا مصالح خصيصاً لهذا الغرض . وقد قيل إن سر الإثراء المالى السبق إلى المعلومات الصحيحة . ومن يراجع تاريخ الثروات التى جمعتها بعض الأسر اليهودية المشهورة — كأسرة روتشيلد مثلا — يرى أن منشأها كان الحصول على معلومات سياسية أو حربية ذات شأن والاستفادة منها قبل انتشارها بين الجمهور .

الأحوال الخاصة التي اكتنفت تاريخهم ، فإن مانالهم من الضغط والاضطهاد فيما مضى جعل في قرارة نفوسهم نزوعاً إلى قلب النظام الحاضر وانتقاضا على السلطات التي ناوأتهم . أما الماليون منهم فقد كسبوا ما كسبوا بمهارتهم وحذقهم في أساليب التجارة ، وصدق نظرهم في الشئون الاقتصادية وحيازتهم المعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة ، فـــلا لوم عليهم ولا تثريب .

أما السبب الحقيقي فهو :

يعزى تقدم اليهود في الزمن الحديث إلى انتشار مبادىء الثورة الفرنسية في القارة الأوربية . فقد استفادوا من المساواة الاجتماعية وأصبح لهم نفوذ وسيطرة ، ولا سيما إذا اعتبرنا قلة عددهم بالنسبة إلى سائر الشعوب . فهذا التفوق بعد المذلة والمسكنة فيما مضى من الأزمان ، هو من أسباب تسيدهم كأرباب المال والتجارة ، وإن المساواة الاجتماعية تهدم أنواع السيادة القائمة على اعتبارات سياسية أو جنسية أو نسبية أو غير ذلك ولا تبقى إلا سيادة الثروة ، أى حـكم الذهب وتحـكمه . وهذا بلا ريب من أسباب تلك الـكراهية التي نشاهد أثرها في كل مكان .

بالإضافة إلى هذا أنهم عاشوا في عزلة في مجتمع عرف بالغيتو ، وقد نجم عن هذه العزلة أنهم اكتسبوا صفات جسمانية ومعنوية خاصة بهم ، وأنهم امتازوا بحـدة الذهن وحسن التدبير وبعد النظر والاحتياط للطوارىء ، وأنهم نزعوا إلى الديمقراطية وحب المساواة . ثم إن اليهودى عموما كان محروما من دخول الجيش والبحرية والنقابات الصناعية والتجارية ، فأصبح بطبيعة الحال وسيطا — أى تاجرا — وتمرن على طرق المعاملة وترقب السوق والاستفادة من الفرص ، ولا سيما أن الـكنيسة كانت تحرم الربا ، فاتخذ الاتجار « بالمال » عملا له وبرع فيه أيما براعة .

فلما جاء القرن الماضى وأعلن فيه تحرير اليهود فى معظم الدول الأوروبية وألغيت القيود التى كانوا بها مقيدين لم يلبثوا أن اغتنموا هذه الفرصة السانحة واستخدموا الصفات التى اكتسبوها على مر السنين وبذا بلغوا المقام الرفيع الذى يتبوءونه فى تلك البلاد .

فنرى من ذلك أن كراهية اليهود لا ترجع إلى التعصب الدينى ، وإن يكن له فيها نصيب ، ولا هى ترجع إلى التعصب الجنسى (١) ، وقد يكون له نصيب أيضاً ، بل ترجع إلى الأحوال الاجتماعية التى نجمت عن تحرر اليهود فى القرن التاسع عشر .

وإذا قابلنا الشعب اليهودى بسائر الشعوب القديمة وجدناه فى مؤخرتها علما وفنا وحضارة . فآثاره ضئيلة بجانب آثارها . على أنه كان يحمل فى صدره عاطفة دينية عظيمة الشأن وهى الإيمان بإله واحد هو إله الإسرائيليين الشعب المختار دون الشعوب . فهذا الإيمان الشديد هو الذى أبقى الشعب اليهودى حيا مميزا واضح الصفات والأخلاق رغم صروف الزمان وتقلبات الأيام ومن ثم نفهم كنه العصبية اليهودية ، فإنها دينية فى المقام الأول .

قال سبينوزا اليهودى وهو من أكبر فلاسفة التاريخ : « لم يكن حب اليهود لوطنهم حبا بسيطا بل كان أشبه شىء بالورع . فهذا الورع — مع ما وافقه من الاحتقار للشعوب الأخرى — كان ينمو يوما فيوما مع ممارسة اليهود لديانتهم حتى أصبح متأصلا فى نفوسهم » .

اضطهاد اليهود كان العامل الأساسى لميلاد الصهيونية :

إن الفكرة الصهيونية وليدة الكراهية التى مابرحت تظهرها الشعوب الأوروبية . ولبيان الاتصال بين النزعتين نستشهد بالتاريخ : فى سنة ١٨٨٢

(١) تسمى نزعة المناوأة لليهود عند الغربيين Antisemitism أى معاداة الساميين ، فى حين أنها موجهة إلى اليهود دون غيرهم من الشعوب السامية .

خطت الفكرة الصهيونية الخطوة الأولى فى حيز التنفيذ ، وفى سنة١٨٩٧م عقد أول مؤتمر صهيونى وضعت فيه خطط هذا المشروع .

فالسنة الأولى كانت ابتداء الاضطهاد العظيم الذى أصاب اليهود فى روسيا ، وفى السنة الثانية ابتدأت قضية دريفوس الشهيرة التى تجلى فيها العداء لليهود بأشد صوره .

فالحركة الصهيونية إذن هى من قبيل رد الفعل ، وغايتها حل المشكلة اليهودية بإيجاد وطن لهم ، وليس من شأننا فى هذا المقام سرد تاريخ هذه الحركة منذ نشأتها وبيان ما تقلبت فيه من الأدوار ، وإنما نكتفى بقولنا : إن الدعوة الصهيونية ترجع إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وهى كما يزعمون تستند إلى آيات من التوراة فيها إشارة إلى عودة اليهود إلى وطنهم ودولتهم وهيكلهم « هيكل سليمان » الذى ما برحوا يندبونه منذ تفرقهم . وقد قوى هذه الدعوة انتشارا النزعات « القومية » فى أوربا ، وبشر الصهيونيون بإنشاء دولة يهودية يستقر فيها الشعب اليهودى التائه . على أن الروح الدينية ما برحت هى الباعث الأول والدافع الأكبر .

فالصهيونية بهذه الاعتبارات وكما وصفها أحد الكتاب « مذهب دينى فى لباس وطنى » .

التآمر الإمبريالى الصهيونى على الشرق الأوسط :

وقد ظل الصهيونيون يعملون بطرق غير رسمية إلى أن كانت الحرب ، فاتفقت مصلحة الإنجليز ومصلحة الصهيونيين ونجم عن هذا الاتفاق وعد بلفور المشهور الذى قال عنه السيد الرئيس جمال عبد الناصر من رسالته إلى جون كنيدى رئيس جمهورية الولايات المتحدة الراحل : « لقد أعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق ثم استطاع الاثنان — من لا يملك

ومن لا يستحق — بالقوة والخديعة أن يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه فيما يملكه وفيما يستحقه ». تلك هى الصورة الحقيقية لوعد بلفور الذى قطعته بريطانيا على نفسها وأعطت فيه من أرض لا تملكها عهدا بإقامة وطن يهودى ، أما مصلحة الإنجليز فرغبتهم فى تأمين قناة السويس بإنشاء دولة خاضعة لإرادتهم. وأما مصلحة الصهيونيين فالاتكاء على أمة قوية كإنجلترا لتنفيذ أغراضهم ، فلما تحول ميزان القوة إلى أمريكا لم يتوانوا عن السيطرة عليها بما برعوا فيه من وسائل التأثير الدعائى والمالى ، حتى أنهم استطاعوا أن يستميلوا كبار الساسة بل سواد الجمهور الغربى والأمريكى ، إلى القضية الصهيونية . وهى فى اعتقادنا وفى اعتقاد الأحرار من الأوروبيين والأمريكيين قضية لا تحتمل الامتحان المنزه عن الأغراض ، فإن بطلانها واضح ظاهر يكاد يثب إلى ذهن المتأمل فيها .. إنها باطلة من الوجهة الجنسية ومن الوجهة السياسية ومن الوجهة التاريخية ومن الوجهة الاقتصادية . وقد وصفها أحد كبار اليهود وهو المستر مورغنتو الذى كان سفيرا لأمريكا فى الآستانة بقوله إنها « أعظم تضليل ظهر فى التاريخ اليهودى » .

ويقرر السيد الرئيس جمال عبد الناصر وجهة النظر العربية فى حديث إلى تليفزيون كولومبيا بقوله : « إننا نعتقد أن حقوق عرب فلسطين لا بد أن تستعاد لأكثر من مليون عربى طردوا من بلادهم وينبغى أن يعودوا ثانية إلى أراضيهم .. هذه وجهة نظرنا القائمة على الحق والعدل » .

حل المشكلة اليهودية :

يقول « أرنولد توينبى » فى كتابه « فلسطين جريمة .. ودفاع » عن ضرورة التزام الصهيونية بالتقليد اليهودى فى الأخذ بالهدوء السياسى :

« لقد كان هنالك أمل شبه مؤكد فى ضرورة العودة لإحياء شتات يهوذا وإسرائيل الممزقة إلى وطنهم السابق فى فلسطين كقاعدة أساسية فى اليهودية الأرثوذكسية . وكانت تلك القاعدة هى التى ألهمت المشتتين

اليهود ، وجعلتهم يحتفظون بشخصيتهم المتميزة الخاصة فى المجتمع ، طوال فترة تنوف على ١٧٦٢ سنة ، هذا إذا حسبنا من إخضاع ثورة « باركوبيه » سنة ١٣٥ م ، حتى ابتداء الحركة الصهيونية سنة ١٨٩٧ ، وكان ستون جيلا من اليهود المشردين قد ظهروا وانقرضوا خلال هذه الفترة الطويلة من عصور التاريخ ، وظلوا جميعاً يصرون على ترك مقاليد الأمور « ليهوه القدير » نفسه ليقوم بهذا العمل ، وظلوا يرون أن ذلك من عمله هو وبمبادرة منه لا من عمل شعبه المختار ولا بمبادرة أبنائه .

«كان هذا ما تأخذ به جميع المدارس اليهودية الأرثوذكسية حيث كانت تعتبر أن مهمة إعادة اليهود إلى فلسطين تقع على عاتق الله ، وكان هذا الرأى هو السائد عند جميع اليهود فيما بعد عهد الإمبراطور « هادريان » : الأرثوذكس منهم والمتعصبين الدينيين ، واللامبالين فى الدين ، وقد عاش لهذا الرأى « حزب أغودات إسرائيل » وأتباعه فى اعتقادهم بأن أية محاولة للقيام بمجهود إنسانى بغيـة محاولة العودة لن تـكون أكثر من تجن واغتصاب يتجاوز حدود الدين ولا يقبل به الرب » .

والواقع أنه كان فى الإمكان امتصاص يهود فلسطين فى أوطانهم التى هاجروا منها لو تنازلت الإمبريالية عن مطامعها الاستعمارية ، ولو تساهل اليهود فى عصبيتهم بإقلاعهم عن اعتزالهم ، وتـكيفهم باطنا وظاهرا بمقتضى المصلحة الوطنية . وما شأنهم فى ذلك إلا شأن سائر الأقليات الجنسية والدينية التى يجب أن تشترك فى تـكوين قوميات لا تعرف دينا ولا جنسا غير حب الوطن .

ومع هذا فهيهات أن يخضع الغرب لهذا الرأى وهم ينساقون لإرادة إلهية حتمية ومن يضلله الله فليس له من هاد . وهكذا تخاصم المسيحيون

وتحاربوا واقتتلوا ، وبفضل الدهاء اليهودى تحالفت الشيوعية الشرقية مع الرأسمالية الغربية ، وقامت الحرب الثانية وعرض هتلر على الغرب أن يتضامن معه لدفع الخطر الشيوعى فرفض الغرب عرضه . وكانت النتيجة المحتومة استمرار الحرب الثانية ضد المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) الذى قام لمحاربة الشيوعية ثم انهزم المحور ، واليوم يندم حلفاء الغرب على ما أظهروا من ود وتحالف مع الشيوعية ، وهم يحصدون الآن ما زرعوه .

وما دام هذا البله فى الساسة المسيحيين مستمرا فسيظل العالم المسيحى مرعى خصيبا ، تعمل فيه الصهيونية ، وتنفذ مآربها التى ستنتهى لا محالة بانحلال العالم وسيادة اليهود .

ومن غريب المشاهدات التى تحير العقول أن الصهيونية ، التى كانت السبب فى ثورة روسيا على القياصرة ، وانتصار الشيوعية التى ألغت المسيحية فى تلك البلاد ونشرت الإلحاد فى ربوعها . . هذه الصهيونية هى الآن صديقة الغرب ، وفيه من أصحاب الملايين والعلماء الصهيونيين ، والفنانين والخبراء العدد الوفير . . وفيه من الوزراء والنواب وذوى النفوذ ما لا يحصره عد . . وفيه الكثير من السكرتيرين فى هيئة الأمم المتحدة ولجانها المتعددة ، كما كانوا فى عصبة الأمم القديمة . كل هذا يوجب الدهشة والحيرة ويشعر بالخطر الجاثم على الغرب .

وأشد من هذا كله وأنكى كثرة الأساتذة اليهود فى الجامعات والمدارس فى الغرب ، واشتراك العلماء اليهود فى صناعة القنابل الذرية والهيدروجينية وأسرارها .

وهم الآن على علم بدقائق هذه الصناعة ومراكزها التى كان يجب إخفاؤها على غير المسيحيين ، فأسرار هذه الصناعة التى يتوقف عليها مصير

الإنسانية أصبحت فى أيديهم وفى أماناتهم . وليقل لنا رجال الغرب المسيحيون : كم من الصهيونيين أفشوا السر ؟ . وكم من اليهود ثبتت عليهم تهمة التجسس لمصلحة الأعداء ؟

إن الصحف ووكالات الأنباء تطالعنا من وقت لآخر بأسماء الجواسيس الذين خانوا الغرب والشرق وكشفوا عن أسرار القنـــابل الذرية والهيدروجينية وأسرار الخطط والاستحكامات العسكرية ، فهل بحث المتخاصمون ، بين هؤلاء الجواسيس عن عدد اليهود الذين لا يبغون سوى تحطيم العالم كما أسلفنا ، وليست الوطنية عندهم سوى دينهم وعنصرهم ؟ !

هل يعتقد رجال السياسة أن اليهودى الأمريكى مواطن أمريكى حقاً ؟ أو أنه يهودى قبل كل شىء ديناً وعنصراً ؟ ! ومثل هذا يقال عن اليهودى فى بريطانيا وفرنسا وغيرهما .

وقد قال رئيس الوكالة اليهودية بيرل لوكر الأمريكى الجنسية (١) : « إن راية إسرائيل هى رايتنا . . ومن واجبنا أن نتألم من أجل هذه الراية . . وعلينا أن ننظر إلى هـذه الراية الصهيونية التى بدأت تخفق فوق دولة إسرائيل ، وكأنها تخفق فوق رأس كل منا . . وإن كل آمالنا أن نراها تخفق فوق رأس جميع الشعب اليهودى ، وذلك بعد أن ننتهى من جمع المشتتين من اليهود ضمن هذه الدولة » .

وفى اجتماع وزارى عقد فى ١٥ / ٧ / ١٩٤٨ قال بن غوريون رئيس حكومة إسرائيل ما يأتى : « إن أجيالنا السالفة لم تتحمل الاضطهاد والآلام لـكى ترى ثمرة جهادنا التى تنحصر فى جمع ٨٠٠,٠٠٠ يهودى فقط ضمن إسرائيل . . إن واجبنا يحتم علينا أن ننقذ جميع اليهود الموجودين فى البلدان العربية والأوروبية » .

---

(١) ثمن إسرائيل ـ الفريد ليلينتال .

أشهر المراجع

١ — القرآن الكريم .

٢ — الكتاب المقدس طبعة بيروت ١٩٣٦ .

٣ — السيرة النبوية لابن هشام .

٤ — فلسطين جريمة ودفاع ـ أرنولد توينبي .

٥ — خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ـ عبد الله التل .

٦ — الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ـ الدكتور على عبد الواحد وافى .

٧ — يقظة العالم اليهودى ـ إيلى ليفى أبو عسل — مصر ١٩٢٤ .

٨ — الماسونية منشئة ملك إسرائيل ـ محمد على الزغبى ـ بيروت ١٩٥٦ .

٩ — The Story of Civilization; Will Durant .

١٠ — The Key to the mystery Christian Nationalist - Missori 1938 .

١١ — Freemasonry - Arnold leese London 1935 .

١٢ — Encyclopaedia Britanica 1911 .

محتويات الكتاب



طبع بمطابع
دار العهد الجديد للطباعة
كامل مصباح وشركاه — تليفون ٩٠٢١٩٣